مشـــتبه النظـــم النبـــوي في روايـــات الصحيحين لحـــديث اللبنة دراسة موازنة

إعداد

د/ ممدوح شـــعراوي محمود محمد

الأستاذ المساعد بقسم البلاغة والنقد

كلية اللغة العربية بأسيوط

مشـــتبه النظـــم النبـــوي
فـــى روايـــات الصحيحين لحـــديث اللبنة دراسة موازنة

ممدوح شعراوى محمود محمد

البريد الإلكتروني: MamdouhShaarawi٢٠@azhar.edu.eg

الأستاذ المساعد بقسم البلاغة والنقد ـ كلية اللغة العربية بأسيوط

الملخص:

يتناول هذا البحث واحدًا من الأحاديث النبوية المشهورة، التي تتحدث عن مكانة النبي– صلى الله عليه وسلم– بين إخوانه من الأنبياء والمرسلين، ويُبين منزلته – عليه الصلاة والسلام– ومنزلة دينه عند الله عز وجل، وهذا الحديث مشهور عند أهل صنعة الحديث، بحديث(اللبنة) –أي القطعة من الطين– حيث تعددت روايات هذا الحديث بين صحيح الإمام البخاري وصحيح الإمام مسلم، حتى بلغت رواياته ست روايات متشابهة الألفاظ متقاربة المعاني، وقد جاءت هذه الروايات عن اثنين من الصحابة الكرام هما: سيدنا أبو هريرة وسيدنا جابر بن عبد الله، واختلفت كل رواية عن الأخرى بشيء من الزيادة أو بشيء من النقصان، أو بمقدار من الإطناب أو مقدار من الإيجاز، وقد رأيت عقد موازنة بين هذه الروايات الواردة في الصحيحين، حتى أستطيع– بعون من الله وتوفيقه– معرفة أسرار هذا التشابه الموجود بين هذه الروايات المتعددة، ولمعرفة ذلك كان لابد من تقسيم ألفاظ هذا الحديث إلى مجموعات متعددة ترتبط كل منها بالأخرى، ومن هنا جاء هذا البحث في أربعة مطالب أو أجزاء، تتحدث عن كل من: التشابه الموجود في جملة التشبيه... والتشابه الموجود في جملة البناء... والتشابه الموجود في الطواف والتعجب من البناء المذكور... والتشابه الموجود في أدوات التحضيض وجُمل الختام... وكان الهدف من كتابة هذا

البحث: هو الوصول في نهاية تحليل هذه الروايات إلى معرفة المعنى المتكامل لهذا الحديث، من خلال تعدد رواياته.

الكلمات المفتاحية : (النظم – روايات– اللبنة – الصحيحين)

Suspicious of the Prophetic System in the Narrations of the Two Sahihs Regarding the Hadith of the Mortar: A Comparative Study

Mamdouh Shaarawi Mahmoud Mohammed
Email: MamdouhShaarawi٢٠@azhar.edu.eg
Assistant Professor in the Department of Rhetoric and Criticism - Faculty of Arabic Language in Asyut

Abstract:

This research addresses one of the well-known Prophetic Hadiths that speaks about the status of the Prophet Muhammad (peace be upon him) among his brethren—other prophets and messengers. It highlights his esteemed rank and the status of his religion in the sight of Allah Almighty. This Hadith is well-known among scholars of Hadith and is commonly referred to as the *Hadith* of *the Brick* (i.e., a piece of clay).

The narrations of this Hadith differ between *Sahih al-Bukhari* and *Sahih Muslim*, amounting to six narrations with similar wording and closely related meanings. These narrations were transmitted by two noble Companions: Abu Hurairah and Jabir ibn Abdullah.

Each narration differs from the other either by addition or omission, or by a degree of elaboration or brevity. Thus, a comparative analysis between the narrations in the two Sahihs was conducted to uncover—by Allah's help and guidance—the hidden nuances behind the similarities in these various narrations. To achieve this, the wordings of the Hadith were divided into several related groups. Accordingly, the study was structured into four sections, discussing:

١. The similarity in the simile phrase

٢. The similarity in the construction phrase

٣. The similarity in the references to circumambulation and marveling at the construction

٤. The similarity in the urging expressions and concluding phrases

The aim of this study is to ultimately arrive at a comprehensive understanding of the Hadith through analyzing its multiple narrations.

Keywords: (Stylistic Structure – Narrations – The Brick – The Two Sahihs)

المقدّمة

الحمد لله الذي اصطفى نبيه منذ الأزل ، وأكمل به صرح الدين وجعله خير الملل، فقوم به اعوجاج أهل الباطل وأرباب الخَطَل، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن أحبه... وبعد...

فمن الظواهر الواسعة الانتشار التي يلاحظها الدارس في ميدان الحديث النبوي الشريف، ويراها ماثلة بين يديه، وحاضرة بين ناظريه، ظاهرة تشابه النظم بين ألفاظ الحديث الواحد، والمغايرة الموجودة بين بعض مفرداته، حيث كثيرًا ما يكون هناك حديث مشهور محفوظ بألفاظ متفقة، وبمعان مؤتلفة، بحيث لا يختلف على هذه المعاني اثنان، ولا ينتطح في أمرها عنزان، ولكن بالتمعن والتنقيب عن روايات هذا الحديث، تجده قد ورد بعدة ألفاظ اشتبه نظم بعضها مع بعض في الصياغة، مع تقارب رحم المعاني التي بينها، وائتلاف الدلالات التي حولها، وهذا التشابه الذي بين الكلمات وتلك المغايرة القائمة بين الألفاظ والعبارات، قد تسلك وادي الزيادة تارة، أو تمر من مضيق النقص تارة أخرى، وقد تأتي ممتطية صهوة الإطناب مرة، وتتوكأ على عصا الإيجاز مرة أخرى، حتى إذا ما جمع الدارس تلك الروايات وقارن بين مشتبه نظمها وتقارب ألفاظها، تبين له كيف أن الزيادة التي هنا قد أكملت النقص الذي هناك، وأن الإطناب الذي في هذه قد كشف القناع عن وجه الإيجاز الذي في تلك، وهكذا تتضام تلك الروايات وتتكامل وتتآذر فيما بينها، حتى يخرج من رحمها المعنى الأبرُّ المقصود، والهدف الأسمى المنشود من إيراد هذا الحديث في الغرض المروم منه.

وقد كان لتعدد الرواية في الحديث الواحد كبير الأثر في شحذ همتي، والشد من عضد عزيمتي، لاقتحام مثل هذا الوادي للتعرف على الأسرار الكامنة في أرحام تلك المغايرة الواقعة بين مشتبه النظم في الحديث الواحد، ولكن بالوقوف على ربوة هذا الوادي، وإجالة النظر في جنباته، وإطالة عِنان التأمل في رواياته، تبين لي أن تعدد الرواية في الحديث الواحد بحر هدّار قد غاب ساحله، وغيث هطال قد اشتد وابله، ومن ثم رأيتُ من نفسي عدم القدرة على السباحة في هذا البحر الزخار، أو الوقوف تحت هذا الغيث المدرار، أنَّى ومعالجة مثل هذا يحتاج إلى صفوة من العلماء المحدثين، وخيرة من النجباء الدارسين، حتى يكشفوا النقاب عن أسرار هذا التغاير بين نظوم الأحاديث المتشابهة.

ومع ما أعانيه من جمود القريحة، وخمود جذوة الفطنة، واستيلاء سطوة الغفلة، عقدتُ العزم على أخذ قطرةٍ من بحر بيانه العظيم – صلى الله عليه وسلم – حتى أستطيع الدوران حولها، ويقوى عقلي على بلوغ عمقها، والوصول إلى إدراك كنهها، مع إدراكي أن التصدي لشرح بيانه – صلى الله عليه وسلم– إنما هو تجشم لأمر عظيم، وجرأة على اقتحام سور البيان القويم؛ لأنه يحتاج إلى صفاء الفكر ونقاء القريحة، مع قوة التأمل وبالغ التدبر، حتى يتسنى للباحث أن يقف على شيء من مكنون أسراره، أو قدرٍ من بديع أنواره، ومع كل ذلك استعنت بالله على الولوج إلى ساحة هذا البيان الرائق، والتفتيش عن جميل نظمه الشائق، والبحث عن لطيف متشابهه الفائق، وعليه فقد وقع الاختيار على حديث مشهور، يُبين منزلة النبي – صلى الله عليه وسلم– بين الأنبياء السابقين، وكيف أنه جاء آخرهم ليسد ما بقي من خلل كان قائمًا بدونه، ويتمم صرح بنائهم المفتقد إلى وجوده – صلى الله عليه وسلم– وهذا الحديث مشهور عند أهل الصنعة من حُفَّاظ الأحاديث وشراحهم بحديث(اللبنة).

وقد تعددت روايات هذا الحديث بين البخاري ومسلم حتى بلغت ست روايات متشابهة الألفاظ، وقد جاءت هذه الروايات عن صحابيين جليلين هما: سيدنا أبو هريرة، وسيدنا جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما– وقد رأيت عقد موازنة بين تلك الروايات الواردة في الصحيحين لهذا الحديث، حتى أستطيع الوقوف على شيء من أسرار هذا التشابه القائم بين تلك الروايات، وعليه فقد جاء هذا البحث تحت عنوان:

(**مشتبه النظم النبوي في روايات الصحيحين لحديث اللبنة دراسة موازنة**)

أسباب اختيار الموضوع :

ترجع أسباب اختيار هذا الموضوع إلى ثلاثة أمور هي:

١- عدم وجود دراسة تحليلية قائمة بذاتها توازن بين روايات هذا الحديث، وتميط اللثام عن أسرار التشابه الموجود بين ألفاظه ودلالاتها كما وردت في الصحيحين.

٢- الخوف من الطعن في البلاغة النبوية، ورميها عن قوس الجهالة من غير المتخصصين في الدراسات البيانية، وذلك بسبب تعدد روايات الحديث الواحد، مما يفتح باب الشك في جلِّ بلاغة الأحاديث النبوية الواردة عنه – صلى الله عليه وسلم.

٣- الرغبة القوية في جمع شتات ما تناثر من إشارات أهل العلم عند شرح هذا الحديث، مع إضافة ما منَّ الله به على الباحث من تحليل وموازنة تكشف عن دلالات هذا التشابه، وأسرار تلك المغايرة اللفظية الواقعة في روايته.

إشكالية البحث :

تتمثل إشكالية هذا البحث في ندرة ما سطَّره يراعُ أهل العلم من شرَّاح الأحاديث وغيرهم من إشارات وامضة، ولمحات خاطفة، وعبارات هادية إلى دلالات تلك الألفاظ المتشابهة في روايات هذا الحديث، مما يجعل تحديد المعنى المُؤم مِنْ هذه الألفاظ من الصعوبة بمكان، ومِن ثَمَّ فالقطع بدلالات مشتبه النظم في روايات هذا الحديث، يحتاج إلى جَلدٍ وصبرٍ وطولِ تأملٍ ومثابرة؛ حتى يستطيع الباحث أن يضع يده على دلالات تُرضي أهل البيان، وأصحاب الذوق الشفيف، ولا تخرج – في الوقت نفسه – عن دائرة المقصود منها في اللغة.

الهدف من البحث:

يتمثل الهدف من كتابة هذا البحث في تلمس الفروق الدقيقة القائمة بين تلك النظوم المتشابهة في روايات هذا الحديث، من حيث وضع كلمةٍ مكان أخرى، أو استعمال فعلٍ يؤدي معنى غيره، أو الإتيان بحرف بديلًا عن سواه، للوصول في النهاية إلى معرفة المعنى المتكامل الذي خرج من رحم تلك الروايات المتعددة المتشابهة الألفاظ.

المنهج :

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام أن هذه الدراسة اتخذت من المنهج الوصفي –القائم على الموازنة والتحليل– طريقًا لاحبًا تسير عليه حتى تصل إلى إبراز جماليات التشابه في روايات هذا الحديث الشريف.

الدراسات السابقة

بعد الاطلاع على ما تيسر لي من دراسات ورقية، أو إلكترونية منشورة على شبكات التواصل الاجتماعي، لم يقع بين يدي أو تحت عيني دراسة قائمة بذاتها حول الموازنة بين روايات حديث اللبنة، والكشف عن

أسرار المغايرة بينها، إلا ما كان من إشارات موجزة متناثرة في بعض الشروح عن بعض الكلمات من هذا الحديث، لتكون مثل هذه الإشارات باعثًا على شحذ الهمة في قرع باب هذا الموضوع؛ لجعله بحثًا قائمًا بذاته بإذن الله تعالى.

أما ما كان من أبحاث تخص تعدد الروايات في الحديث النبوي على وجه العموم فهناك دراسات متعددة منها:

١- **أسباب تعدد الروايات في متون الحديث النبوي الشريف للدكتور/ شرف محمود القضاة والدكتور/ أمين محمد القضاة** ، بحث منشور في مجلة دراسات كلية الشريعة – الجامعة الأردنية – عمان– مجلد –٢٠ – عدد الملحق سنة ٩٣ م دار الفرقان – عمان – الأردن – الطبعة الأولى ١٩٩٩م .

٢- **البلاغة النبوية في ضوء تعدد الروايات الحديثية دراسة منهجية د/ يوسف بن عبد الله العليوي**– قسم البلاغة – كلية اللغة العربية – جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية – العدد الرابع والعشرون– رجب ١٤٣٣هـ.

٣- **تعدد الروايات في الحديث الشريف وأثره على المعاني دكتور/ أيمن جاسم محمد الراوي** مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية – جامعة باتنة(١) الجزائر– مجلد ٢٢ العدد ٢ سنة ٢٠٢١ م.

٤- **أسباب الاختلاف في مرويات الأحاديث النبوية ودفع توهم التعارض بينها ، دكتور/ محمد السيد محمد أبو الغيط**- باحث دكتوراه بقسم الشريعة الإسلامية– كلية دار العلوم – جامعه القاهرة– العدد ٩٨.

وبعد... فقد شاءت إرادته سبحانه أن يخرج هذا البحث في مقدمة، وتمهيد، ونص روايات الحديث، ثم أربعة مطالب وخاتمة وبعض الفهارس.

- **أما المقدمة :** فذكرت فيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وإشكالية البحث، والهدف منه، والمنهج المتبع، والدراسات السابقة.
- **وأما التمهيد :** فذكرت فيه أهم الأسباب الداعية إلى تعدد الروايات في الحديث الواحد.
- **وأما المطلب الأول فكان بعنوان : (مشتبه النظم النبوي في جملة التشبيه الواردة في الحديث)** وقد اشتمل على ما يأتي:

(أ) جملة التشبيه بين الإطلاق والتقييد

(ب) دخول كاف التشبيه على (مثل)

- **وأما المطلب الثاني فجاء بعنوان : (مشتبه النظم النبوي في جملة البناء وما يتعلق بها)** واشتمل على:

(أ) (بنى... وابتنى) بين الأصل والزيادة.

(ب) البناء المذكور بين الإفراد والجمع.

(ج) مادة الكلمة في البناء المذكور.

(د) التزيين الواقع على البناء المذكور.

- **وأما المطلب الثالث فكان عنوانه : (مشتبه النظم النبوي في الاستثناء والطواف والتعجب من هذا البناء)** واشتمل على:

(أ) استثناء اللبنة من البناء المذكور.

(ب) مشتبه النظم في الطواف والتعجب من هذا البناء.

- **وأما المطلب الرابع فجاء تحت عنوان : (مشتبه النظم النبوي في أدوات التحضيض وجُملِ الختام)** واشتمل على:

(أ) أدوات التحضيض على وضع اللبنة.

(ب) جمل الختام في روايات الحديث.

- **وأمـا الخاتمـة** فذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها تلك الدراسة.
- ثم يأتي بعد ذلك **فهرس المصادر والمراجع**.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

تمهيد

أسباب تعدد الروايات في الحديث الواحد

من الأمور التي تصافحها عين القارئ والدارس في ميدان الحديث النبوي الشريف، ظاهرة تعدد الروايات المتعلقة بالحديث الواحد، حيث إن عبارة (وفي رواية فلان ورد كذا) تجدها منتشرة بشكل واضح وبصورة بينة في بطون مؤلفات الحديث النبوي، سابحة في بحار شروحها، بارزة فوق شطآن مصنفاتها، واضحة بين طيات كتبها، وحُق لهذه العبارة أن تنحني أمامها رؤوس الدارسين، إجلالًا لقدرها، وإكرامًا لشأنها، وإكبارًا منا للقائلين بها، وما ذاك إلا لدلالة هذه العبارة على إلمام صاحبها بجميع الطرق التي ورد منها هذا الحديث، وعلمِه بكل الأسانيد التي صاحبت هذا المتن الشريف، من بداية خروجه من فم النبي – صلى الله عليه وسلم– إلى زمن التدوين في بطون الكتب وأمهات المؤلفات، وهذا التحري في تعدد روايات الحديث، وتلك الدقة في الإلمام بجميع طرقه، لها عند القوم أسباب ودواعٍ منها:

[١] أن يتعدد الرواة من الصحابة في واقعة معينة متكررة.

بحيث يروي هذه الواقعة في زمن ومكان راوٍ من الصحابة، ويرويها في زمان آخر راوٍ آخر من الصحابة... وهلم جرا..

أو يُعلم النبي – صلى الله عليه وسلم– أحدًا من الصحابة سُنة في موضع معين، ثم يُعلِّم غيره من الصحابة السُنَّة نفسها في مكان آخر بطريقة أخرى، ومن أمثلة ذلك ورود التربيع في بعض طرق الأذان، والاقتصار على التثنية في بعضها الآخر، وكذلك الترجيع في الشهادتين بالإتيان بهما بصوت منخفض، ثم العود مرة أخرى برفع الصوت بهما، وكذلك التثويب وهو إدخال قول المؤذن "الصلاة خير من النوم" في صلاة الصبح، وتركه

في روايات أخرى... وهذا القسم أمره هين وإشكاله سهل؛ لأن النبي- صلى الله عليه وسلم- يكون – حينئذ- قد نوَّع بين أقواله وأفعاله في أماكن مختلفة، وهذا ما يسمى بالسنن المتنوعة، وهي السنن التي جاءت على أنواع شتى من أقوال النبي ﷺ وأفعاله [١]

[٢] تعدد اللفظ الصادر منه ﷺ مع اتفاق المعنى : -

وذلك حين يقول النبي- صلى الله عليه وسلم- الحديث الشريف مرتين أو أكثر بألفاظ متعددة؛ لأن الحديث النبوي معناه من الله، ولفظه من رسول الله – صلى الله عليه وسلم- ومن ثمَّ فله -عليه الصلاة والسلام- أن يعبر عن هذا المعنى بأي لفظ يراه مناسبًا، وقد كان عليه – صلى الله عليه وسلم- يذكر المعنى كلما وجد حاجة إلى ذلك، تعليمًا للمسلمين وتذكيرًا لهم، وكل ذلك مع اتفاق المعنى[٢]

ومثال ذلك ما ورد عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأنصاري- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ:" أَتَى رَجُلٌ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنِّي لَأَتَأَخَّرُ عَنْ صَلاَةِ الغَدَاةِ، مِنْ أَجْلِ فُلاَنٍ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا، قَالَ: فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَطُّ أَشَدَّ غَضَبًا فِي مَوْعِظَةٍ مِنْهُ يَوْمَئِذٍ، قَالَ: فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا

---

(١) ينظر :تطريز الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي لرسالة (اختلاف ألفاظ الحديث النبوي) للعلامة محمد الأمير الصنعاني ص ٥، ٦

(٢) أسباب تعدد الروايات في متون الحديث الشريف أ. د/ شرف محمود القضاة، أ. د/أمين محمد القضاة ص ٥ بتصرف بحث منشور في مجلة كلية الشريعة – الجامعة الأردنية – عمان – مجلد ٢٠- عدد الملحق سنة٩٣م – دار الفرقان – عمان ، الأردن- ط الأولى ١٩٩٩م.

النَّاسُ، إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ، فَأَيُّكُمْ مَا صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيَتَجَوَّزْ، فَإِنَّ فِيهِمُ المَرِيضَ وَالكَبِيرَ وَذَا الحَاجَةِ»[1]

وفي رواية أخرى عن عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيّ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ: «أُمَّ قَوْمَكَ» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أَجِدُ فِي نَفْسِي شَيْئًا قَالَ: «ادْنُهْ» فَجَلَّسَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ وَضَعَ كَفَّهُ فِي صَدْرِي بَيْنَ ثَدْيَيَّ. ثُمَّ قَالَ: «تَحَوَّلْ» فَوَضَعَهَا فِي ظَهْرِي بَيْنَ كَتِفَيَّ، ثُمَّ قَالَ: «أُمَّ قَوْمَكَ. فَمَنْ أَمَّ قَوْمًا فَلْيُخَفِّفْ، فَإِنَّ فِيهِمُ الْكَبِيرَ، وَإِنَّ فِيهِمُ الْمَرِيضَ، وَإِنَّ فِيهِمُ الضَّعِيفَ، وَإِنَّ فِيهِمْ ذَا الْحَاجَةِ، وَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ وَحْدَهُ، فَلْيُصَلِّ كَيْفَ شَاءَ»[2]

فانظر إلى قوله في الحديث الأول:" فَأَيُّكُمْ مَا صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيَتَجَوَّزْ، فَإِنَّ فِيهِمُ المَرِيضَ وَالكَبِيرَ وَذَا الحَاجَةِ " وإلى قوله في الحديث الثاني: "مَنْ أَمَّ قَوْمًا فَلْيُخَفِّفْ، فَإِنَّ فِيهِمُ الْكَبِيرَ، وَإِنَّ فِيهِمُ الْمَرِيضَ، وَإِنَّ فِيهِمُ الضَّعِيفَ، وَإِنَّ فِيهِمْ ذَا الْحَاجَةِ" لتجد التقارب البيّن بين ألفاظ الحديثين – مع اختلاف الواقعة – وعدم التعارض بين القولين في المعنى، ولا يخفى أن تعدد الواقعة سبب من أسباب تلك المغايرة الواقعة في ألفاظ الحديثين، ولا تؤثر تلك المغايرة على صحة كل من الحديثين والعمل بما فيهما.

[٣] اتحاد الواقعة والقول مع اختلاف المتلقي: –

حيث من الممكن أن يتحقق اتحاد الواقعة والقول، كحجته ﷺ وما فيها من أفعال وتوجيهات، وكخطبة يوم عرفة وما فيها من إرشادات وعظات، ومع ذلك تختلف الرواية عنه – صلى الله عليه وسلم– في هذا

(١) صحيح البخاري ٢٧/٨ تح/ محمد زهير بن ناصر –دار طوق النجاة – ط الأولى ١٤٢٢هـ

(٢) صحيح مسلم ٣٤١/١ تح/محمد فؤاد عبد الباقي – دار إحياء التراث العربي – بيروت .

الموقف اختلاف معنى وليس اختلاف تضاد، وذلك بسبب تنوع أخلاط الناس حوله – صلى الله عليه وسلم–[١]

ومما يؤيد ذلك قول الخطابي:(وقد يتكلم – ﷺ – في بعض النوازل وبحضرته أخلاط من الناس، قبائلهم شتى ولغاتهم مختلفة ومراتبهم في الحفظ والإتقان غير متساوية، وليس كلهم يتيسر له ضبط اللفظ وحصره، أو يتعمد لحفظه ووعيه، وإنما يستدرك المراد بالفحوى، ويتعلق منه بالمعنى، ثم يؤديه بلغته ويعبر عنه بلسان قبيلته، فيجتمع في الحديث الواحد إذا انشعبت طرقه عدة ألفاظ مختلفة موجبها شيء واحد) [٢]

[٤] اختلاف حال المخاطبين : –

(حيث كان – صلى الله عليه وسلم– يخاطب كل شخص بما يناسبه، وهذا عين الحكمة والصواب منه؛ ولذلك فقد يجيب عن السؤال الواحد بأجوبة متعددة، في حالات متعددة، وليس في ذلك تعارض، بل هو من باب معرفة خصائص الناس وطبائعهم، واختيار ما يناسب أحوالهم وحاجاتهم) [٣]

---

(١) ينظر: البلاغة النبوية في ضوء تعدد الروايات الحديثية دراسة منهجية د/ يوسف بن عبد الله العليوي ص ١٠٣، بحث منشور في مجلة العلوم العربية– العدد الرابع والعشرون رجب ١٤٣٣هـ كلية اللغة العربية – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

(٢)غريب الحديث للخطابي ٦٨/١،٦٩ تح/عبد الكريم إبراهيم الغرباوي – خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي الناشر: دار الفكر – دمشق – عام النشر: ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م

(٣) تعدد الروايات في الحديث الشريف وأثره على المعاني د/ أيمن جاسم محمد الدوري ص ١٨–مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية – جامعة باتنة – المجلد ٢٢– العدد ٢– ٢٠٢١م.

من ذلك ما رواه أَبو هُرَيْرَةَ، -رضى الله عنه – (أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الْمُبَاشَرَةِ لِلصَّائِمِ،- أي القُبْلة «فَرَخَّصَ لَهُ»، وَأَتَاهُ آخَرُ، فَسَأَلَهُ، «فَنَهَاهُ»، فَإِذَا الَّذِي رَخَّصَ لَهُ شَيْخٌ، وَالَّذِي نَهَاهُ شَابٌّ) [١]

فانظر كيف راعى – صلى الله عليه وسلم- حال السائِلَيْن وأجاب كلًا منهما بإجابة تغاير الأخرى، مع كون السؤال واحدًا؛ وما ذاك إلا لأن الشيخ يملك ضبط نفسه وكبح جماحها إن وُجد، ومِنْ ثَمَّ لا يفسد صومه ولا يبطل عمله، وأما الشاب فغلبة الشهوة عليه حاضرة، وقوة الباءة فيه آمرة، ومظنة إفساد صومه متوافرة، ومن هنا منعه ﷺ من أُولى خطوات إفساد الصوم وهي القُبلة، رحمة به وبأمثاله.

[٥] اختصار الراوي للحديث :

(أي أن يذكر الراوي جزءًا من الحديث بحسب ما يقتضيه الحال، خشية التطويل، فيظن البعض أن ما سمعه هو كل الحديث، فيرويه كما سمعه، ويرويه من سمع الحديث كله كما سمعه أيضا، والاختصار يختلف عن النسيان، فالاختصار يكون متعمدًا مع تذكر كامل الحديث، بينما النسيان يتم بسبب عدم تذكر جزء من الحديث) [٢]

ومثال ذلك ما ورد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه-: قال: (إن محمدًا- صلى الله عليه وسلم – قال: إن الرجل يَصْدُق حتى يُكتبَ صِديقًا ويكذبُ حتى يكتبَ كذَّابًا) [٣]

---

(١)سنن أبي داود ٣١٢/٢ تح/ محمد محيي الدين عبد الحميد- المكتبة العصرية – صيدا بيروت.

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل ١٦٣/٤ تح/ أحمد محمد شاكر – دار الحديث – القاهرة – ط الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.

(٣)أسباب تعدد الروايات في متون الحديث ص ٢٠

وعنه – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ : (إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ صِدِّيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ كَذَّابًا). (١)

وعنه – رضي الله عنه– قال: قال رسول – الله صلى الله عليه وسلم–: (عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا) (٢)

(فهذه ثلاث روايات عن صحابي واحد، ولكنها مختلفة طولاً وقصراً، وقد وقع في الأولى والثانية اختصار ليس في الثالثة) (٣)

تلك من أهم الأسباب الداعية إلى اختلاف رواية الحديث الواحد، وقد حاول الباحث أن يعرضها عرضًا ميسرًا مختصرًا، وأن يُلم بجنباتها إلماماً يهدي إلى المقصود، ويفضي بسالك لاحبها إلى المنشود، وإلا فمن أراد الاستزادة، وبسط القول في ذلك مع الإفادة، فعليه بالرجوع إلى علوم الحديث والمؤلفات التي عُنيت بهذا الأمر، فسيجد فيها سخاء التأليف، ووفرة العطاءات من أصحاب التصانيف، خدمةً للحديث النبوي الشريف.

---

(١) صحيح مسلم ٤/٢٠١٢ .

(٢) صحيح مسلم ٤ /٢٠١٣

(٣) أسباب تعدد الروايات في متون الحديث ص ٢١

ولتعدد الروايات في علوم الحديث فوائد جمة منها :

(الانتفاع باختلاف الروايات بالزيادة والنقص – تارة – في شرحٍ لغامض، أو بيان لمجمل، أو إيضاحٍ لمبهم، وفيه – في الوقت نفسه – تقوية للأحاديث برفع رتبة الضعيف منها إلى الحسن تارة، والحسن منها إلى الصحيح أخرى) [١]

وهكذا لا تعدم من تعدد الرواية في الحديث الواحد من فوائد تستطيع أن تضع يدك عليها، وتتلمس منها ما أضافته كل رواية عن الأخرى، بحيث يتكامل في النهاية المعنى المروم إيصاله للسامعين، ويتحقق الغرض الأسمى من إيراد هذا الحديث في تلك القصة أو هذه الواقعة.... والله أعلم

(١): مدرسة الحديث في مصر– محمد رشاد خليفة ص ٢٨٤– الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية بالقاهرة

نص روايات حديث اللبنة بين الصحيحين

أولاً: رواية الإمام البخاري:

يقول الإمام البخاري – رضى الله عنه– : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ، حَدَّثَنَا سَلِيمُ بْنُ حَيَّانَ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مِينَاءَ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ– صلى الله عليه وسلم: " مَثَلِي، وَمَثَلُ الأَنْبِيَاءِ كَرَجُلٍ بَنَى دَارًا فَأَكْمَلَهَا وَأَحْسَنَهَا ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَدْخُلُونَهَا وَيَتَعَجَّبُونَ وَيَقُولُونَ: لَوْلاَ مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ" (١)

ويقول في رواية أخرى: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ "(٢)

ثانياً: رواية الإمام مسلم:

تعددت رواية الإمام مسلم لهذ الحديث بحيث بلغت أربع روايات هي:

الرواية الأولى يقول فيها:

حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ النَّاقِدُ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: " مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيَانًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، فَجَعَلَ النَّاسُ

---

(١) صحيح البخاري ١٨٦/٤

(٢) صحيح البخاري ١٨٦/٤

يُطِيفُونَ بِهِ، يَقُولُونَ: مَا رَأَيْنَا بُنْيَانًا أَحْسَنَ مِنْ هَذَا، إِلَّا هَذِهِ اللَّبِنَةَ، فَكُنْتُ أَنَا تِلْكَ اللَّبِنَةَ " (١)

والرواية الثانية يقول فيها:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ، قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ – صلى الله عليه وسلم– قَالَ: مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ ابْتَنَى بُيُوتًا فَأَحْسَنَهَا وَأَجْمَلَهَا وَأَكْمَلَهَا، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهَا، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ فَيَقُولُونَ: أَلَّا وَضَعْتَ هَاهُنَا لَبِنَةً فَيَتِمَّ بُنْيَانُكَ " فَقَالَ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم: «فَكُنْتُ أَنَا اللَّبِنَةَ» (٢)

والرواية الثالثة يقول فيها :

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، وَقُتَيْبَةُ، وَابْنُ حُجْرٍ، قَالُوا: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ يَعْنُونَ ابْنَ جَعْفَرٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ السَّمَّانِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ – صلى الله عليه وسلم– قَالَ: " مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيَانًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ قَالَ فَأَنَا اللَّبِنَةُ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ" (٣)

والرواية الرابعة يقول فيها :

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا سَلِيمُ بْنُ حَيَّانَ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مِينَاءَ، عَنْ جَابِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم– قَالَ: " مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا فَأَتَمَّهَا وَأَكْمَلَهَا إِلَّا مَوْضِعَ

---

(١) صحيح مسلم ١٧٩٠/٤
(٢) صحيح مسلم ١٧٩٠/٤
(٣) صحيح مسلم ١٧٩١/٤

لَبِنَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَدْخُلُونَهَا وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْهَا، وَيَقُولُونَ: لَوْلَا مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ " قَالَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم–: «فَأَنَا مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ، جِئْتُ فَخَتَمْتُ الْأَنْبِيَاءَ»(١)

والمعنى المراد إجمالًا من هذا الحديث هو : تشبيه الأنبياء مع شرائعهم السماوية التي أنزلها الله لإصلاح البشرية ، بحال رجل بنى بيتًا فأحسن إنشاءه وتشييده وجمَّله من كل زاوية ، إلا موضع لبنة فيه قد تركها مدة من الزمن إلى أن جاء من أقام تلك اللبنة في موضعها ، ومن ثم تم جمال البناء وحسن في أعين الناظرين.

وإلى القارئ الكريم المطالب التي جاءت في هذه الدراسة ، وما اشتملت عليه:

(١) صحيح مسلم ١٧٩١/٤

المطلب الأول

مشـــتبه النظـــم النبـــوي

فـــي جملة التشـــبيه الـــواردة في الحديـــث

وقد اشتمل على ما يأتي:

(أ) جملة التشبيه بين الإطلاق والتقييد.

(ب) دخول كاف التشبيه على (مثل) .

أولاً: (جملة التشبيه بين الإطلاق والتقييد)

أول ما يُطالع القارئ الكريم في هذه الروايات هو جملة المشبه التي يقول فيها– صلى الله عليه وسلم– : (مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ) حيث ترى هذه الجملة جاءت مرة من دون أن يتقدمها شيء من أدوات التأكيد :

فيقول: (مَثَلِي، وَمَثَلُ الأَنْبِيَاءِ كَرَجُلٍ بَنَى دَارًا فَأَكْمَلَهَا وَأَحْسَنَهَا...) .

ويقول: (مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيَانًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ...) .

ويقول: (مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا فَأَتَمَّهَا وَأَكْمَلَهَا...).

ويقول:(مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ ابْتَنَى بُيُوتًا...)

ومرة أخرى يتقدمها أم أدوات التأكيد وهي (إنَّ) فيقول: (إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ...)

والسر في ذلك – والله أعلم . أن جملة التشبيه جاءت أول ما جاءت، وأكثر ما جاءت ، خالية من التوكيد فقال: (مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ)

ليَعْلم الجميع أن كلّ كلامه – صلى الله عليه وسلم– صدق ووحي، وليس به شيء من شائبة الكذب أو قدر من الزيف والتدليس ، ومن ثَمَّ لا يحتاج إلى ما يُعضد صدقه أو يؤكد خبره، كيف وقد قال الحق سبحانه في شأنه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى*إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ (النجم٣:٤)

فإن قيل: إن صح ما سبق من الكلام على خلو جملة المشبه من التوكيد في كلامه – صلى الله عليه وسلم– فلماذا جاءت الجملة ذاتها مصدرة بأم أدوات التوكيد (إنَّ) في قوله – صلى الله عليه وسلم – : (إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ...)؟

قيل: التوكيد الذي تصدر جملة التشبيه هنا ليس راجعًا إلى الشك في صدق كلامه– عليه الصلاة والسلام– واحتياجه إلى ما يدفع هذا الشك

بمثل هذه الأداة، وإنما التوكيد الذي تصدر جملة المشبه هنا راجع إلى عنايته – صلى الله عليه وسلم– بمحتوى الجملة والمعنى المقصود منها، وحرصه على تثبيت هذا المعنى وتوكيده في قلوب السامعين؛ لأنه معنى يتعلق بأفضليته– عليه الصلاة والسلام– على سائر الأنبياء السابقين ، مع كونه خاتمًا لهم أجمعين، بحيث لا يدع المجال لأحد بعد ذلك أن يدعي النبوة، أو يقول: إن نبيه أعظم من نبينا– عليه الصلاة والسلام – أو شريعة غيره أفضل من شريعته– صلى الله عليه وسلم– ومن ثمَّ يكون –عليه الصلاة والسلام– قد أغلق باب المفاضلة مع مَنْ سواه من النبيين، وسد طريق الموازنة مع غيره من المرسلين، ومن ثم لا ينبغي لأحد من أمته أن يستمع لكلام أحد من أهل الكتاب الذين صموا آذانهم عما جاء به رسول الله –صلى الله عليه وسلم– مع علمهم من قرارة أنفسهم أنه الحق المبين.

وقبل مغادرة جمله التشبيه التي معنا يجدر بنا أن نقف معها وقفة أخرى، وما ذاك إلا أن هذه الجملة قد وردت ثلاث مرات خالية من قوله: (من قبلي) وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم– :

(مَثَلِي، وَمَثَلُ الأَنْبِيَاءِ كَرَجُلٍ بَنَى دَارًا...)

(مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيَانًا...)

(مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا...)

ووردت جملة التشبيه هذه ثلاث مرات كذلك مقترنة بقوله: (من قبلي) حيث يقول –عليه الصلاة والسلام –:

(إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا...)

(مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ ابْتَنَى بُيُوتًا...)

(مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيَانًا...)

إذن هناك زيادة في جملة المشبه متمثلة في قوله: (من قبلي) ومعلوم أن الأنبياء جميعًا كانوا قبله –عليه الصلاة والسلام– فلماذا نص على هذه القبلية، مع أن جملة (ومثل الأنبياء) تقوم مقامها وتغني غناءها؟

الجواب – والله أعلم بالصواب – أنه – صلى الله عليه وسلم– أراد أن يؤكد على معنى كونه خاتمًا للنبيين وكأنه – صلى الله عليه وسلم– أراد أن يقول: يا معشر من آمن بي وصدق بما جئت به من عند ربي، اعلموا أن كلّ نبي سمعتم به غيري إنما كان (قبلي) وليس هناك نبي بعدي، وعليه فأنا خاتم النبيين وآخر المرسلين، ومن ثمَّ كانت جملة (من قبلي) تمهيدًا وتوطئة وتوكيدًا لقوله في نهاية الحديث: (فَأَنَا اللَّبِنَةُ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ)

وليس بيانه – صلى الله عليه وسلم– هنا ببعيد عن بيان الذكر الحكيم، بل هما يخرجان من مشكاة واحدة ، وينبعان من عين ثرة خالدة ، حيث ترى من بين آيات الذكر الحكيم أخوات لجملة (من قبلي) هذه، كتلك التي تجدها في قوله تعالى: ﴿ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ (النحل ٢٦) ومعلوم أن السقف لا يكون إلا من فوق، وكقوله تعالى: ﴿وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ وكذلك الطائر لا يطير إلا بجناحيه، وكقوله جل في علاه في مفتتح سورة الإسراء ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴾ ومعروف أن الاسراء لا يكون إلا بالليل... إلى آخر تلك الآيات التي من هذا الوادي. وما تراه فيها من دلالات ومعان داخل سياقها، لا تستطيع أن تتلمسها من دونها،

ثانيـاً : دخــول كـاف التشبيه على (مثل)

والناظر في حديث اللبنة هذا يرى أن رواية واحدة من روايات هذا الحديث جاءت بكاف التشبيه وحدها داخلة على طرف المشبه به الذي ذكره – صلى الله عليه وسلم– وهو ذلكم الرجل الذي بنى دارًا فأحسنها إلا موضع لبنة فيها، وفي ذلك يقول– صلى الله عليه وسلم–:

(مَثَلِي، وَمَثَلُ الأَنْبِيَاءِ كَرَجُلٍ بَنَى دَارًا فَأَكْمَلَهَا وَأَحْسَنَهَا....) ثم تجد خمس روايات لهذا الحديث بين البخاري ومسلم قد دخلت فيها كاف التشبيه على كلمة (مثل) قبل ذكر الرجل الذي بنى بيته، وفي ذلك يقول –عليه الصلاة والسلام – :

(إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا...)

(مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيَانًا...)

(مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ ابْتَنَى بُيُوتًا...)

(مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيَانًا...)

(مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا.....)

ولعل السر في دخول كاف التشبيه على كلمة (مثل) في أغلب روايات الحديث راجع إلى نوع التشبيه الذي أورده – صلى الله عليه وسلم – حيث إنه تشبيه منتزع من متعدد وليس تشبيها بسيطا، حيث (شبه الأنبياء وما بعثوا به من إرشاد الناس وهدايتهم، ببيت أسست قواعده ورفع بنيانه وبقي منه موضع به يتم صلاح ذلك البيت) [1] وذلك على عادة البلغاء في صياغة كلامهم حيث إنهم (إذا أرادوا تشبيه حالة مركبة بحالة مركبة، أعني وصفين منتزعين من متعدد أتوا في جانب المشبه والمشبه به معاً أو

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للمباركفوري ١٢٨/٨ الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

في أحدهما بلفظ المثل وأدخلوا الكاف ونحوها من حروف التشبيه على المشبه به منهما، ولا يطلقون ذلك على التشبيه البسيط ، فلا يقولون: مثل فلان كمثل الأسد، وقلما شبهوا حالًا مركبة بحال مركبة مقتصرين على الكاف وحدها، كقوله :"وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ" (الرعد ١٤ (بل يذكرون لفظ المثل في الجانبين غالبا) [١]

وترى ذلك بينًا في وصف حال المنافقين الذين يقول الله في شأنهم: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ (البقرة ١٧) وفي وصف حال المنفقين أموالهم ابتغاء مرضاة الله، حيث يقول:(مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ (البقرة٢٦١) وفي وصف المنفق ماله رياء حيث يقول: ﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾ (البقرة٢٦٤)..... إلخ ذلك مما هو بيّن ومعروف.

وإنما جيء بالكاف داخلة على لفظ (المثل) في مثل هذه التشبيهات للدلالة على توكيد التشبيه الداخلة عليه، والاهتمام بالمحتوى الذي يتضمنه، مع لفت القلوب والأسماع إلى الإصغاء إليه والميل نحوه، وعليه فإن مجيء الكاف سابقة على لفظ المثل في قوله- صلى الله عليه وسلم-: (إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا) دال على تأكيد إثبات أفضليته – صلى الله عليه وسلم – على السابقين من الأنبياء والمرسلين، والجزم بأن شريعته هي الشريعة الخاتمة التي بها يكون صلاح أمر العباد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

---

(١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٣٠٣/١- الدار التونسية للنشر- تونس ١٩٨٤م.

ومن عجيب روايات هذا الحديث أنك تجد الرواية التي ذُكرت فيها كاف التشبيه وحدها فقيل فيها: (مَثَلِي، وَمَثَلُ الأَنْبِيَاءِ كَرَجُلٍ بَنَى دَارًا ...إلخ) قد توكأت كلها على الإيجاز في بناء جملها، فتراها تقول: (مَثَلِي، وَمَثَلُ الأَنْبِيَاءِ كَرَجُلٍ بَنَى دَارًا فَأَكْمَلَهَا وَأَحْسَنَهَا، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَدْخُلُونَهَا وَيَتَعَجَّبُونَ وَيَقُولُونَ: لَوْلاَ مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ)

وبالنظر فيها تجد خلوها من أم أدوات التوكيد (إن) التي ذُكرت في غيرها فقيل: (إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي) ثم تجد غيابًا لجملة (من قبلي) التي أُشبعت بها جملة المشبه، فقيل: (إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي) ثم تجد الاستثناء هنا مقصورًا على قوله: (إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ) بينما امتد هذا الاستثناء في غير هذه الرواية ليكون (إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ) ثم تجد فعل التعجب في هذه الرواية غير متعلق بشيء حيث يقول هنا:(فَجَعَلَ النَّاسُ يَدْخُلُونَهَا وَيَتَعَجَّبُونَ) بينما في الروايات الأخرى ذكر متعلق التعجب فقال:

(فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ) (ويعجبهم البنيان) (وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْهَا)

ثم انظر إلى الإيجاز في جملة التحضيض هنا (لَوْلَا مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ) بينما زِيْدَ في بناء جملة التحضيض في غير هذه الرواية فقيل:

(هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَة) (أَلَّا وَضَعْتَ هَاهُنَا لَبِنَةً فَيَتِمَّ بُنْيَانُكَ) ثم غياب جملة الختام من هذه الرواية، بينما ذُكرت بصيغ متعددة في الروايات الأخرى حيث يقول – صلى الله عليه وسلم– فيها:

(فَكُنْتُ أَنَا اللَّبِنَةَ)...(فَكُنْتُ أَنَا تِلْكَ اللَّبِنَةَ)...(فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ)

(فَأَنَا مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ، جِئْتُ فَخَتَمْتُ الْأَنْبِيَاءَ)

وهكذا ترى الإيجاز في الرواية المكتفية بكاف التشبيه وحدها، بينما ترى الإطناب في الروايات التي دخلت فيها كاف التشبيه على لفظ (مثل) وكأنه لما اكتفى في هذه الرواية بكاف التشبيه قابل ذلك بالإيجاز في بناء جمل الحديث، ولما زاد في الروايات الأخرى لفظ (المثل) زاد في بناء جملها ما يدل على ذلك .. .. والله أعلم

المطلب الثاني

مشتبه النظم النبوي في جملة البناء وما يتعلق بها

واشتمل على:

[أ] (بنى... وابتنى) بين الأصل والزيادة.

[ب] البناء المذكور بين الإفراد والجمع.

[ج] مادة الكلمة في البناء المذكور.

[د] التزيين الواقع على البناء المذكور.

أولاً :(بنى ... وابتنى...) بين الأصل والزيادة :-

الناظر في حديث اللبنة الذي معنا يرى أن النبي – صلى الله عليه وسلم – استخدم الفعلين (بنى) و(ابتنى) دالًا بهما على إقامة جدران البناء المذكور، الذي نقصت منه اللبنة المتممة له، وبمراجعة أصحاب المعاجم، للوقوف على الفرق بين الفعلين، والدلالة الخاصة لكل منهما، نراهم قد ذهبوا إلى أنهما بمعنى واحد، وليس بينهما فرق في الدلالة أو مغايرة في المعنى، من ذلك قول الجوهري صاحب الصحاح:

(وابتنى دارًا وبنى بمعنى) [١] ووافقه في ذلك صاحب مختار الصحاح وصاحب لسان العرب [٢] أما أصحاب شروح الحديث فقد تجاوزوا الفرق بين الفعلين، ولم يقفوا عليهما، ولم يكن الفعلان بالنسبة لهما محل نظر، ومَنْ وقف منهم عليهما ذهب إلى ما ذهب إليه أصحاب المعاجم من أنهما بمعنى واحد[٣]

والحق أن هذه المساواة في دلالة كل منهما على الآخر، بها شيء من الظلم الواقع على الفرق الدقيق الخاص بكل منهما؛ لأنه لو كان كل منهما يؤدي معنى الآخر فما بال واضع اللغة قد جعل منهما فعلين ولم يجعلهما فعلًا واحدًا طالما أنهما بمعنى؟

---

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ،أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري ٢٢٨٦/٦،تح: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م

(٢) ينظر: مختار الصحاح : محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي ٧٣– تح: محمود خاطر، الناشر : مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، طبعة ١٤١٥ – ١٩٩٥ .ولسان العرب لابن منظور ٨٩/١٤ ط الأولى – دار صادر– بيروت .

(٣) ينظر: الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لمحمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي العَلَوي الهَرَري الشافعي ٥٤/٢٣، الناشر: دار المنهاج – دار طوق النجاة – الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م

ولعل مقولة أهل البلاغة: (إن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى)[1] تكشف لنا عن سر هذه المغايرة الواردة في حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم– حيث إن الفعل الثلاثي (بنى) ورد في حديث اللبنة خمس مرات، بينما الفعل الخماسي (ابتنى) ورد مرة واحدة، والناظر إلى المفعول المتعلق بكل منهما، يستطيع أن يدرك السر في اختصاص كل منهما بنظم معين وسياق خاص، حيث إن الفعل (بنى) ورد مفعوله اسما دالًا على الإفراد متمثلا ذلك في:

(البيت.. البنيان.. الدار) فنراه – صلى الله عليه وسلم – يقول:

(كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا)... (كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيَانًا) ... (كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا) بينما ورد مفعول الفعل (ابتنى) متعلقاً باسم دال على الجمع، وفي ذلك يقول– صلى الله عليه وسلم– :

(كَمَثَلِ رَجُلٍ ابْتَنَى بُيُوتًا) ومن هنا ندرك أن دلالة الفعل الثلاثي (بنى) داخل سياق الحديث تختلف عن دلالة الفعل الخماسي (ابتنى)، حيث إن (بنى) يدل على حدث أقل وجهد محدود؛ لتعلقه ببناء بيت واحد، أو بنيان واحد، أو دار واحدة، بينما دلالة (ابتنى) داخل سياق الحديث تدل على حدث أكبر وجهد أقوى؛ لتعلقه ببناء مجموعة من البيوت ،وهذه بلا شك تحتاج إلى جهد كبير وزيادة في العمل مع حدث أطول عما يتطلبه بناء بيت واحد أو دار واحدة.

والحديث عن تعلق الفعل (بنى) بمفرد وتعلق الفعل (ابتنى) بالجمع يدفعنا إلى الحديث عن سر مشتبه النظم بين الإفراد والجمع في كلمتي (البيت والبيوت) ومن ثمَّ نقول:

---

(١) حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني ص ٢٦تح/عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت.

ثانياً: البنـاء المذكـور بيـن الإفراد والجمع

من الكلمات التي اشتبه النظم النبوي فيها في حديث اللبنة، التعبير عن البناء المذكور مرة بصيغة الإفراد وأخرى بصيغة الجمع، حيث تراه – صلى الله عليه وسلم– يقول في رواية الإمام البخاري: (كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ) بينما يقول في رواية الإمام مسلم: (كَمَثَلِ رَجُلٍ ابْتَنَى بُيُوتًا فَأَحْسَنَهَا وَأَجْمَلَهَا) والإفراد والجمع في أمر البناء هنا لم يُوضع وضعًا عشوائيًا، ولم يُنسج نسجًا اعتباطيًا، وإنما لكل من الكلمتين مراد خاص بها، ودلالة تكتنفها، بحيث لا تؤديها الكلمة الأخرى عنها؛ حيث أراد– صلى الله عليه وسلم– أن يعلمنا–أولًا– أن دعوة جميع الأنبياء من لدن سيدنا آدم – عليه السلام– إليه – صلى الله عليه وسلم– إنما هي دعوة واحدة، تتمثل في عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه، بحيث كان كل نبي يكرر ذلك في قومه، وهذا ما نراه في القرآن كثيرًا على لسان الأنبياء –عليهم السلام – من ذلك قول سيدنا نوح –عليه السلام– لقومه: ﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (الأعراف٥٩) وقول سيدنا إبراهيم لقومه: ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (العنكبوت ١٦) وقول سيدنا هود لقومه: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (الأعراف ٦٥) وقول سيدنا صالح لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ (الأعراف ٧٣) وقول سيدنا شعيب لقومه: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (الأعراف ٨٥) وقول سيدنا عيسى لبني إسرائيل: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ (المائدة ٧٢) ثم ذكر الله تعالى ذلك في كل رسول على سبيل الإجمال فقال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴾ (النحل٣٦) ومن هنا لما كانت

هذه الدعوة واحدة بين جميع الأنبياء، كان التعبير عنها بالإفراد في قول النبي- صلى الله عليه وسلم- : (كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا) فالبيت الواحد في الحديث إشارة إلى الدعوة الواحدة التي جاء بها جميع الأنبياء.

ولما كانت دعوة كل نبي مصحوبة بشريعة تلائم قومه الذين أرسل إليهم، وتعالج وباءهم المنتشر فيهم، كلٌ حسبما ابتُلوا به، من أكلٍ للربا.. أو تطفيف للكيل.. أو إتيان للفاحشة.. أو الاشتغال بالسحر... ... إلخ هذه الرزايا التي مُنوا بها = أراد أن يُعلمنا – ثانيًا- أن كل دعوة منها كأنها بناء مستقل خاص بالنبي وقومه دون ما سواهم، ومن هنا تعددت تلك الرسالات وتنوع أمر النبوات، وهذا التعدد في الرسالات والتنوع في الشرائع هو ما دعا إلى التعبير عنه بالجمع في قوله: – صلى الله عليه وسلم- (كَمَثَلِ رَجُلٍ ابْتَنَى بُيُوتًا) فالجمع الذي في (البيوت) إشارة الجمع الذي في الشرائع، ومن هنا يمكن القول:

بأنه لما كانت دعوة الأنبياء واحدة من أبينا آدم إلى سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – كان التعبير عنها بالبناء الواحد وهو لفظ البيت فقيل :(كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا) ولما كانت شريعة كل نبي تختلف عن شريعة الآخر، وتنوعت تلك الشرائع وتعددت... عبر عن هذا التعدد والتنوع بالجمع فقال: (كَمَثَلِ رَجُلٍ ابْتَنَى بُيُوتًا) ....

ثالثاً: مـــادة الكلمة في البناء المذكور

بالاستناد إلى مقولة: (لا تزاحم في النكات والأسرار) [1] يلاحظ في هذا الحديث أن النبي – صلى الله عليه وسلم– عبر عن تلك النبوات بشرائعها السابقة عليه، بعدة مسميات تعود في مجملها إلى شيء واحد، حيث تراه يصورها مرة بالبيت، ومرة بالدار وأخرى بالبنيان، وفي ذلك يقول:

(إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ...)

(مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيَانًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ...)

(مَثَلِي، وَمَثَلُ الأَنْبِيَاءِ كَرَجُلٍ بَنَى دَارًا فَأَكْمَلَهَا وَأَحْسَنَهَا...)

والبيت والبنيان والدار: كلمات في جملتها تؤدي معنى الحيز المحاط الذي يُسكن فيه ويُبات

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه على مهيع البيان اللاحب هو: لماذا نوَّع النبي – صلى الله عليه وسلم– في تصوير تلك النبوات وشبهها بهذه الأبنية المختلفة؟

والإجابة على ذلك – بلا شك – تكمن في الفروق الدقيقة القائمة بين هذه الكلمات والمراد منها، وكأن النبي – صلى الله عليه وسلم– قد صور تلك الشرائع بالمراحل التي مرت بها على أيدي الأنبياء، إلى أن استقرت واكتملت على يديه – صلى الله عليه وسلم –، ويبين ذلك بعرض الفروق الدقيقة بين كلٍّ من البيت والدار والبنيان، حيث إن البيت هو:

---

(١)خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني– د/ محمد محمد أبو موسى ٣١٤– مكتبة وهبة– ط: السابعة

(الْمَأْوَى والْمَآب ومجمع الشمل) [١] وقيل:(مأوى الإنسان بالليل؛ لأنه يقال: بات إذا أقام بالليل، كما يقال: ظلَّ بالنهار، ثم قد يقال للمسكن بيت من غير اعتبار الليل فيه) [٢]

وقيل هو(اسم مبنى مسقف مدخله من جانب واحد بُني للبيتوتة سواء كان حيطانه أربعة أو ثلاثة) [٣] إذن هو (مكان من الأرض يحيط به ما يميزه عن بقية بقعته...؛ ليكون الساكن مستقلًا به لنفسه ولمن يتبعه فيكون مستقرًا له وكِنًّا يَكِنُّه من البرد وساترًا يستتر فيه عن الناس، ومَحَطًّا لأثاثه وشؤونه) [٤] أما الدار فهو المحل الذي يجمع البناء والعَرْصَة وهو من دار يدور لكثرة حركات الناس فيها[٥] ومن ذلك قوله سبحانه: (وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) الأنعام (٣٢) وقوله: (لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) الأنعام (١٢٧) وقوله: (فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ) الأعراف (٧٨)

وزاد بعضهم بأنها: (اسم لما اشتمل على بيوت ومنازل وصحن غير مسقف)[٦]

---

(١) معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس ٣٢٤/١ تح : عبد السلام محمد هارون- دار الفكر- طبعة : ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(٢) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ١٥١- تح: صفوان عدنان الداودي - دار القلم، الدار الشامية - دمشق - بيروت - ط الأولى - ١٤١٢ هـ

(٣) روح البيان لإسماعيل حقي البروسوي ٤٨٣/٤- دار الفكر - بيروت.

(٤) التحرير والتنوير ٧٠٨/١

(٥) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ٤١٨/٩ تح/ عبد الحميد هنداوي- دار الكتب العلمية - بيروت
الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م

(٦) كتاب الكليات لأبى البقاء الكفومي ٣٥٥- تح/ عدنان درويش - محمد المصري - مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

ومن هنا يُعلم أن الدار أعم من البيت لاشتمال الدار على البيت وصحن فارغ بغير سقف.

وأما البنيان فقد حدده ابن سيده تحديدًا دقيقًا حين قال: ما (وقع على ما كان فيه ارتفاع في نصبته) [١] ومما يؤيد أن البنيان بناء مرتفع الأركان ما ورد عن ابن عباس – رضي الله عنه– في تفسير قوله تعالى: ﴿ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴾ الصافات (٩٧) حكاية عما فعلوا بسيدنا إبراهيم أنهم (بنوا حائطا من حجر طوله في السماء ثلاثون ذراعًا وعرضه عشرون ذراعًا وملؤوه نارًا فطرحوه فيها) [٢] ومن ذلك ما ورد عنه– صلى الله عليه وسلم– في علامات الساعة قوله: (وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ) [٣]

وعليه: فالبنيان بناء مرفوع الأركان صوب السماء زيادة عما اعتاد الناس عليه.

ومن تلك التعريفات السابقة يتبين لماذا نوع النبي –صلى الله عليه وسلم– في التعبير عن الحيز المحاط الذي يسكن فيه ويبات بقوله:(بنى بيتًا.... بنى بنيانًا...بنى دارًا...)

و لعلَّ السر في ذلك – والله أعلم – أنه– عليه الصلاة والسلام– عبر عن الشرائع السماوية بهذه المسميات؛ ليدل على أنها مرت بمراحل متعددة حتى اكتمل أمرها واستقام شأنها، تمامًا كما يمر البناء بمراحل

---

(١) المخصص لابن سيده ٥٠٤/١ – تح: خليل إبراهم جفال – دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط: الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م .

(٢) التفسير الكبير للرازي ٣٤٤/٢٦ – الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت– ط: الثالثة – ١٤٢٠ هـ .

(٣) صحيح مسلم ٣٦/١

متعددة، يكون الانتقال من إحداها إلى الأخرى انتقالًا يؤدي في النهاية إلى تمام الهيكل واكتمال الصورة،

فمرة تجد البناء يبدأ أول ما يبدأ بأربعة جدران مسقوفة يتكون من مجموعها صورة بيت يأوي إليه الإنسان عند الحاجة؛ ليقيه الحر والقُرَّ، ثم إذا أراد صاحبه أن ينتفع به أكثر جعل يرتفع به صوب السماء بما يُمَكِّنه من الانتفاع بأكثر من طابق فيه، ومن هنا يطلق عليه البنيان.

ثم إذا أراد أن تعم بهجته بسكناه، وتكتمل فرحته برؤياه، جعل حول البناء ساحة خالية تحوط به؛ لتكون محل سمره أو مكانًا لضيافة صحبه وأهله، ومن هنا كانت هذه دارًا، فالدار هي المرحلة الأخيرة في مراحل إعداد المسكن وما يتعلق به من الرحبة أو العرصة، ومن ثم لا تجد الحق – سبحانه وتعالى – يصف الجنة في قرآنه لا بالبيت ولا بالبنيان، وإنما يصفها بالدار، وذلك كما في قوله : (وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) يونس (٢٥) وقوله:(وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ) النحل (٣٠) وقوله: (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) القصص (٨٣)

وما مرَّ من مراحل التعبير عن الشرائع بالبيت أو البنيان أو الدار، إلا لنعلم أن البشرية تتطور وترقى عصرًا بعد عصر، وتتقدم من البدائية إلى الحضارة قرنًا بعد قرنٍ... حيث كان كل رسول يدعو قومه إلى عبادة الله وحده وإلى الاستقامة والبعد عن خبائث السلوك، فمنهم من حذر من إتيان الذكران، ومنهم من نهى عن التكبر والتجبر، ومنهم من أمر بإيفاء الكيل، ومنهم من نهى عن القتل ومنهم من نهى عن الزنا وأكل الربا ... إلى غير ذلك من تشريعات الرسالات التي أشبهت في تقويمها للبشرية ببناء بُني حجرًا حجرًا وجانبًا جانبًا في حسن وجمال، وبقي ليكتمل ويتم مكانُ حجر

في زاوية منه، فتم ذلك بالرسالة المحمدية وكمل تقويم البشرية بما جاء به خاتم الأنبياء ﷺ [١]

(والشبه ظاهر بين الدار والشريعة ؛ لأن الدار سكن تسكن فيه النفس وتأمن وتستريح وتحط فيها رحلها المكدود، وكذلك الشريعة هي الملاذ والمأوى والمنجا من البطش والظلم والجور والهلاك، وقد امتن الله – سبحانه – على خلقه بأن جعل لهم مسكنًا، كما امتن على خلقه بأنه – سبحانه– جعل لهم شرعًا يئلون إليه كما يئل الحائر إلى مستقره) [٢]

ومن هنا يمكن أن يقال: إن تسلسل أحاديث اللبنة ورد أول ما ورد ببناء البيت ثم بالبنيان ثم بناء الدار؛ لكون ذلك متساوقاً مع المعنى الدلالي الذي يؤديه كل منها ؛ وليدل كذلك على المراحل التي مرت بها الشرائع السماوية حتى اكتمل أمرها ، وتم شأنها على يد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ...

(١) المنهل الحديث في شرح الحديث ٣/٢٠٥دكتور موسى شاهين لاشين، الناشر: دار المدار الإسلامي الطبعة: الأولى، ٢٠٠٢م بتصرف

(٢) شرح أحاديث من صحيح مسلم – محمد محمد أبو موسى ٢/٦١٦– مكتبة وهبة – ط الأولى ١٤٣٦هـ ٢٠١٥م.

رابعاً : التزييـن الواقــع على البناء المذكور

معلوم أن البناء المذكور في الحديث مراد به دعوات الأنبياء إلى عبادة الله وحده، ونبذ عبادة ما سواه، (وتمثل دعوة كل نبي لبنة من اللبنات في ركن من أركان هداية الإنسانية؛ ليكتمل البناء بعد ذلك، وتثبت دعائمه في مواجهة أصحاب الانحراف والفساد في الأرض، وبعد تمام البناء بتمام دعوات الأنبياء، تأتي مرحلة التزيين والتحسين بالشرائع وما فيها من اليسر ومراعاة أحوال الناس في كل مكان وزمان) [١]

وتزيين دعوات الأنبياء بالشرائع هو ما عناه – صلى الله عليه وسلم– بالتحسين والتجميل في روايات الحديث، حيث يقول:

(كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ)... (كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيَانًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ)... (كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا فَأَتَمَّهَا وَأَكْمَلَهَا)... (كَرَجُلٍ بَنَى دَارًا فَأَكْمَلَهَا وَأَحْسَنَهَا)... (كَمَثَلِ رَجُلٍ ابْتَنَى بُيُوتًا فَأَحْسَنَهَا وَأَجْمَلَهَا وَأَكْمَلَهَا).

وبالتأمل في جمل التزيين التي جاءت في روايات هذا الحديث، يتبين أن لفظ البيت والبنيان اتحدا في الجمل اللاحقة بهما الدالة على هذا التزيين والتحسين، حيث وسم كل منهم بوسم متحد ليس فيه اختلاف عن صاحبه، حيث قال في شأن البيت: (كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ) وقال في أمر البنيان: (كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيَانًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ)...

والمراد بالتحسين الحاصل لكل من البيت والبنيان هو (تحسين وضع لبناته بعضها على بعض، ومعنى أجمله أي: أجمل ذلك البناء وزينه بتطيينه وتجصيصه) [٢] ومن هنا يُعلم أن هذا البناء كان به اعتناء بإقامة

---

(١) الخصائص البلاغية للبيان النبوي د/ محمد أبو العلا الحمزاوي ١٢٢– مكتبة الرشد ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م .

(٢) الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم ٥٢/٢٣

صلب الهيكل فيه، بحيث لم يكن وضع لبناته في جدرانه وضعاً عشوائياً، بل كان قائماً على حسن التنسيق وجمال الترتيب، وتآلف الأوصال وتماسك الجدران، حتى غدا هيكله مترابطًا قويًا يشد بعضه بعضًا، وهكذا دعوات الأنبياء إلى عبادة الله وحده ونبذ عبادة ما سواه، كانت قائمة على حسن العرض ولين الجانب، وفصاحة النطق وقوة الحجة ودماثة الخلق وبسط الوجه، بحيث يكون كل ذلك وغيره داعيًا إلى إمالة الأسماع إلى ما يقولون، والإصغاء إلى ما ينطقون، ومن ثَمَّ الميل إليهم والاستجابة لدعوتهم، ثم يأتيهم بشرعه الذي أوحاه الله إليه؛ ليجدوا فيه الراحة والطمأنينة ومراعاة أحوالهم وطرق معاشهم .

وأما كلمة الدار فقد اشتبه نظم الجمل اللاحقة بها الدالة على هذا التزيين، بحيث ترى إحدى الروايات تقول:(كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا فَأَتَمَّهَا وَأَكْمَلَهَا)... وأخرى تقول: (كَرَجُلٍ بَنَى دَارًا فَأَكْمَلَهَا وَأَحْسَنَهَا)

وقبل بيان المراد بالتمام والكمال في نص الحديث، يجدر بنا أن نلقي نظرة على ما قاله أهل العلم في المراد من هذين اللفظين؛ للوقوف على دقيق المراد منهما، ومن هنا قال بعضهم: إنهما بمعنى واحد، ومن ذلك (يُقال تَمَّ الشيءُ إذا كَمل) [١] وقيل: (التمام اسم للجزء الذي به يتم الموصوف، والكمال اسم لاجتماع أبعاض الموصوف) [٢] وقيل:(التمام يقابل نقصان الأصل، والكمال يطابق نقصان الوصف بعد تمام الأصل، ولهذا كان قوله تعالى: " تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ "أحسن من "تامة" لأن التمام من العدد قد علم، وإنما احتمال النقص في صفاتها) [٣]

---

(١) مقاييس اللغة ٣٣٩/١

(٢) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ٢٦٣ تح: محمد إبراهيم سليم- دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر

(٣)كتاب الكليات . لأبى البقاء الكفومى ٢٩٦

والقول بأن "تم" بمعنى "كمل" يُقبل تجاوزاً إذا كان قد ورد في كلام عامة الناس أو في كلام بعض الفصحاء منهم، ويكون هذا القبول من باب التوسع في الدلالة، أو من الترادف الموجود بين بعض الألفاظ، أما إذا كان الناطق بالكلمتين هو أفصح العرب ﷺ فلابد أن يكون هناك فارق دقيق بين اللفظين، يستدعي البحث عنه ويستلزم التنقيب عن المراد منه، وبمراجعة ما قاله أهل العلم في معنى الكلمتين يبين أن تفرقة أبي البقاء[١] بين الوصفين أقرب إلى فهم المراد من اللفظين، وذلك أن النبي ﷺ قدم التمام على الكمال فقال :(كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا فَأَتَمَّهَا وَأَكْمَلَهَا) ؛لندرك أن بناء الدار استمر أولًا حتى تم ما فيها من جدران وأسقف وزوايا، حتى بدا أصل الدار وهيكلها العام تامًا في نظر الرائي، والدليل على أن بناء الدار هذه قد استمر العمل فيها دون توقف طويل، أن النظم الشريف عطف فعل التمام فيها على فعل البناء بالفاء، فقال:

:(كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا فَأَتَمَّهَا) والفاء هنا تفيد التعقيب(والتعقيب في كل شيء بحسبه) [٢] وهو هنا يدل على وقوع البناء بعضه إثر بعض لكن بمدد معتادة، لا تدخل في حيز التراخي أو التباطؤ[٣] ومن ثمَّ فالتمام جاء للدلالة على تمام أصل الدار وهيئته في نظر الرائي، وعندما أتم بناء الأصل وخلا من النقصان المعيب، بدأ صاحبه في النظر إلى شكله العام، والعمل على تحسين صورته، والتأنق في تزيينه وإظهاره في أبهى حُلة

---

(١) أعني (أبا البقاء الكفومي صاحب الكليات في الهامش السابق)

(٢) مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري ١/ ٢١٤، تح / مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر . بيروت . ط السادسة ١٩٨٥م

(٣) البناء البياني لسورة المؤمنون في ضوء كتاب الموافقات للشاطبي (ت ٧٩٠هـ) د/ ممدوح شعراوي محمود محمد ٢٨٨٤بتصرف – بحث منشور في مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط(العدد الثامن والثلاثون الجزء الثالث ٢٠١٩م)

وأجمل منظر، وهذا ما عبر عنه- صلى الله عليه وسلم- بقوله:(وأكملها) إذن الكمال هنا متعلق بالوصف والتمام متعلق بالأصل. ومما يلاحظ هنا أن النبي – صلى الله عليه وسلم – لم يعطف قوله: (أكملها) على (أتمها) بالفاء، فلم يقل: (فأتمها فأكملها)، وإنما عطفه بالواو فقال: (فَأَتَمَّهَا وَأَكْمَلَهَا) والعطف بالواو هنا وإن أفاد مطلق الجمع بين التمام والكمال، إلا أنه يُفهم منه أن هناك فاصلًا زمنيًا بين تمام البناء وكمال الوصف، وهذا أمر معتاد في أمر البناء إلى يوم الناس هذا، بحيث يكون هناك فاصل زمني بين بناء الهيكل وتزيين صورته.

وينسحب هذا التشبيه الحسي الذي ساقه – صلى الله عليه وسلم- في هذا الحديث على المراد الأصيل منه وهو أمر النبوات، التي كانت بناءً جديدًا لذلكم الإنسان الذي تنازعته براثن الجهالة، ومزقته مخالب العماية والضلالة، حتى غدا شلوًا مُبعثرًا، لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا، فكانت دعوته إلى عبادة الله وحده بناء جديدًا له، وكانت شريعة الله التابعة لهذه الدعوة مكملًا لذلكم البناء ومُجمّلا له.

أما الرواية الثانية عن الدار فتقول:(كَرَجُلٍ بَنَى دَارًا فَأَكْمَلَهَا وَأَحْسَنَهَا)

حيث اشتبه النظم النبوي في هذه الرواية بالحديث عن الدار بأن صاحبها(أكملها وأحسنها) وقد مر – من قبل – الحديث عن قوله في الرواية السابقة: (فَأَتَمَّهَا وَأَكْمَلَهَا) ويلاحظ في هذه الرواية، أنه بدأ الحديث عن الدار فيها بالكمال واتبعه بالحسن، فقال: (كرجل بنى دارا فأكملها وأحسنها) بينما اختتم الحديث عن الدار في الرواية السابقة بالكمال فقال:(فَأَتَمَّهَا وَأَكْمَلَهَا) وقد مرَّ معنى التمام والكمال في الرواية السابقة، والحديث هنا عن سر المجيء بقوله: (وأحسنها) بعد أن أخبر عنها بالكمال فقال: (وأكملها) و لعلَّ السرَّ في ذلك – والله أعلم- أن المجيء بالحسن في

هذه الرواية بعد النص على كمالها؛ للدلالة على أن صاحبها قد أجاد بناءها، وأتقن صنعها، وتفنن في زخرفتها، وبالغ في إظهار محاسنها، وما ذاك بغريب عن المراد من كلمة الحسن ومدلولها اللغوي، حيث قالوا:(أَحْسَن فلانٌ: فَعَلَ ما هو حَسَنٌ... والشيءَ: أَجَادَ صُنْعَه، وفي التنزيل "وصَوَّرَكُم فَأَحْسَن صُوَرَكُم"التغابن٣) [١]

ومِنْ ثَمَّ جاء في تفسير الحُسن في هذه الآية بأن (المراد صوركم أحسن تصوير حيث خلق كلا منكم منتصب القامة، بادي البشرة، متناسب الأعضاء، متهيئا لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات) [٢] فهذه صفات متعددة يظللها جميعا معنى (أحسن) وعليه فقوله في الدار: (وأحسنها) أي فعل بها كل ما من شأنه أن يظهر رونقها، وبهاءها وحسن صورتها، مما سبق ذكره من إجادة البناء، وإتقان الصنعة، والتفنن في الزخرفة، وهذا كله تجده في دعوة الأنبياء إلى عبادة الله وحده،–التي هي بناء الهيكل الروحاني للإنسان – وتزيين تلك الدعوة بشريعة الله التي أوحاها إلى كل منهم، فما من دعوة إلا وأحسن الله – سبحانه – شريعتها، وأحكم فروضها، وميز أحكامها، وبين مقاصدها، فلا ترى فيها جمعًا بين متضادين، ولا تناقضًا بين فرضين، بل كل شيء وضع في مكانه اللائق به، بحيث (لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا) (طه ١٠٧).

---

(١) القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، الدكتور سعدي أبو حبيب ٨٩– دار الفكر. دمشق – سورية– ط: الثانية ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م ، وينظر: المعجم الوسيط ١٧٤/١– صادر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة – (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) الناشر: دار الدعوة

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للآلوسي ٣٣٥/١٢– تح: علي عبد الباري عطية– دار الكتب العلمية – بيروت – ط: الأولى، ١٤١٥ هـ .

وأما كلمة البيوت فلم تشتبه في النظم مع غيرها في الجمل اللاحقة بها، وإنما وسمت بثلاث جمل مرة واحدة، يتمثل ذلك في رواية الإمام مسلم التي تقول:

(مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ ابْتَنَى بُيُوتًا فَأَحْسَنَهَا وَأَجْمَلَهَا وَأَكْمَلَهَا) لكن من باب إتمام الفائدة يقال:

إن التزيين الذي لحق بلفظ البيوت في هذه الرواية جاء للدلالة على أمر لفظي وآخر معنوي، أما الأمر اللفظي فيتمثل في كون الجمع الموجود في أمر التزيين– المتمثل في الجمل الثلاث التي في قوله: (فَأَحْسَنَهَا وَأَجْمَلَهَا وَأَكْمَلَهَا) يتناسب مع الجمع الذي تؤديه كلمة "البيوت"، فعندما تعدد أمر المنعوت قابله في الصورة بتعدد النعت؛ ليشاكل كل منهما الآخر، وأما الأمر المعنوي فيتمثل في أن كلمة البيوت، قد استوعبت بدلالتها على الجمع مجموع تلك الشرائع السماوية التي أوحى الله بها الى أنبيائه ورسله؛ لصلاح أحوال الأمم الذين أرسلوا إليهم، ومِنْ ثمَّ جاءت الصفات الثلاث (فَأَحْسَنَهَا وَأَجْمَلَهَا وَأَكْمَلَهَا) لتستوعب كل ما هو حسن وجميل وكامل في تلك الشرائع من ناحية الأصل ومن ناحية الوصف ، حتى لا يتطرق إلى ذهن أحد أن هذه الشرائع كانت ناقصة لأهل زمانهم، أو أن إحداها قد خلت مما من شأنه إرضاء أصحابها وإلحاق السعادة بهم، وعليه فإن قوله: (فَأَحْسَنَهَا وَأَجْمَلَهَا وَأَكْمَلَهَا) يدل على أن جميع تلك الشرائع قد نالت حظها من الحسن والإجادة والإتقان في كل ما يخص أصولها وفروعها... والله أعلم

المطلب الثالث

مشـــتبه النظـــم النبـــوي

في الاستثناء والطواف والتعجب من هذا البناء

واشتمل على:

[أ] استثناء اللبنة من البناء المذكور.

[ب] مشتبه النظم في الطواف والتعجب من هذا البناء.

أولًا : استثناء اللبنة من البناء المذكور

بعد أن بين- صلى الله عليه وسلم- جمال البناء السابق، وحسن إتقانه وكمال وسمه، سواء أكان بيتًا أم بنيانًا أم دارًا، بدأ- عليه الصلاة والسلام- ينبه إلى موضع اللبنة التي نقصت من هذا البناء، والتي بفقدها جعل الناس يتعجبون ويرغبون في وجودها؛ حتى تكتمل سورة الحسن فيه، وهذا التنبيه إلى موضع تلك اللبنة، وهو ما أداه الاستثناء الوارد في الحديث، حيث يقول عليه- الصلاة والسلام-:

(كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ) والناظر الى تعدد الروايات بين البخاري ومسلم، يجد أن هذا الاستثناء لم يأت بجملة موحدة في الصحيحين، وإنما أخذ أكثر من صورة وجاء بأكثر من هيئة، حيث تعددت الألفاظ التي ورد بها هذا الاستثناء، من ذلك قوله:

(إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ) وقوله: (إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ) وقوله:(إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ) وقوله: (إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهَا) وقوله: (إِلَّا هَذِهِ اللَّبِنَةَ)

وقبل الحديث عن تعدد الروايات في هذا الاستثناء، يجدر القول بأن الاستثناء الوارد في هذا الحديث، إنما هو استثناء تام متصل؛ وما ذاك إلا لأن المستثنى وهو

(اللبنة) من جنس المستثنى منه، وهو (البيت أو البنيان أو الدار)، وذكر نوع الاستثناء هنا له فائدة مؤداها: أن السامع قد علم بداهة أن موضع اللبنة هذه كائن في هيكل البناء المذكور، وليس في جهة بعيدة عنه، ولكن صورة التنكير التي خرج عليها هذا الاستثناء، دفعت السائل إلى عدة تساؤلات، جعلت هذا الاستثناء يكمل بعضه بعضًا، لأن الناظر إلى مجموع تلك الروايات، يمكنه القول: -والله أعلم بالصواب- بأن الكلام بدأ أول ما بدأ بقوله: (إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ) هكذا بالتنكير في كلمتي (موضع لبنة) وهذا التنكير

هنا يدل على العموم... وكأن السامع لما وعى هذا العموم المفهوم من التنكير السابق، أراد أن يعرف في أي مكان كان موضع تلك اللبنة، أهو في أعلى البناء، أم في وسطه، أم في أسفله، أم في جانبه... إلخ، ومن ثَمَّ جاء قوله: (من زاوية) كاشفًا عن هذا الغموض الذي اجتاح السامع عند سماع قوله: (إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ) ومن ثَمَّ أدرك أن هذا النقص كائن في زاوية تخص إحدى نواحي البناء، التي يتوقف عليها إقامة الهيكل العام وبدونها ينقض أو يتهدم ذلك البناء، لما لها من أهمية بالغة فيه، بحيث لا يمكن لغيرها أن يقوم مقامها، ومن هنا جاء قوله: (من زواياه) مؤكدًا لهذا المعنى ومؤيدًا له، وكاشفًا بدقة عن موضع تلك اللبنة في هذا البناء المتقدم، وعليه يمكن القول: بأن تسلسل الاستثناء الوارد في حديث اللبنة كان هكذا:

(إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ)...(إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ)...(إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ)

والتنكير الذي في قوله:(زواياه) عائد على البنيان الوارد في قوله:(مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيَانًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ) ومعلوم أن البناء أو البنيان يُراد به هنا أصل الدين.

وأما التأنيث الذي في قوله:(زواياها) عائد على البيوت الواردة في قوله:(مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ ابْتَنَى بُيُوتًا فَأَحْسَنَهَا وَأَجْمَلَهَا وَأَكْمَلَهَا، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهَا) وقد سبق أن المراد بالبيوت هنا هي الشرائع التي جاءت على أيدي الأنبياء،

وبعد أن عرف السامع موضع تلك اللبنة، وفي أي جهة تكون، ومقدار قيمتها من ذلك البناء المذكور، وكيف أن الحاجة إليها ماسة، والرغبة في وجودها مُلحة = كان مجيء اللبنة معرفة – بعد ذلك– أوفق، وكساؤها زي التعريف أليق، ومِنْ ثَمَّ جاء في رواية الإمام مسلم:

(إِلَّا هَذِهِ اللَّبِنَةَ) باسم الإشارة وتعريف اللبنة، وذلك نتيجة طبيعية للمراحل التي مرَّ بها هذا الاستثناء، وتساوقًا مع دلالاته التي مهدت لهذا التعريف، وكانت محط رحله ونهاية أمره...

ثانياً: مشتبه النظم في الطواف والتعجب من البناء المذكور :

عُلم مما سبق أن الحديث الشريف قد صور النبوات السابقة على الرسالة المحمدية بعدة مسميات، تعود في مجملها إلى شيء واحد، وتلك المسميات هي: (البيت... البنيان... الدار... البيوت) وقد بيَّن الحديث الشريف انبهار الناس وشدة إعجابهم بهذا البناء الكائن، المشتمل على مقومات الحسن ودلائل الجمال وصفات الكمال، ولما تعدد التعبير عن النبوات السماوية بأسماء الأبنية المختلفة، تعددت تبعًا لذلك جُمل الطواف والتعجب من تلك الأبنية، ومن ثَمَّ جاءت كالتالي:

أولًا: جملة التعبير عن الطواف بالبيت والتعجب منه

وفي ذلك يقول: (كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ)

ثانيًا :جملة التعبير عن الطواف بالبنيان والتعجب منه

وقد جاء ذلك في روايتين، الأولى منهما تقول:

(كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيَانًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ...)

والأخرى تقول:(كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيَانًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، فَجَعَلَ النَّاسُ يُطِيفُونَ بِهِ، يَقُولُونَ: مَا رَأَيْنَا بُنْيَانًا أَحْسَنَ مِنْ هَذَا)

ثالثًا: جملة التعبير عن الطواف بالبيوت والتعجب منها

وفي ذلك يقول : (كَمَثَلِ رَجُلٍ ابْتَنَى بُيُوتًا فَأَحْسَنَهَا وَأَجْمَلَهَا وَأَكْمَلَهَا، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهَا، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ فَيَقُولُونَ: أَلَّا وَضَعْتَ هَاهُنَا لَبِنَةً فَيَتِمَّ بُنْيَانُكَ " فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَكُنْتُ أَنَا اللَّبِنَةَ)

رابعًا: جملة التعبير عن الدخول إلى الدار والتعجب منها.

وقد جاء ذلك في روايتين، الأولى منهما تقول:

(مَثَلِي، وَمَثَلُ الأَنْبِيَاءِ كَرَجُلٍ بَنَى دَارًا فَأَكْمَلَهَا وَأَحْسَنَهَا ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَدْخُلُونَهَا وَيَتَعَجَّبُونَ وَيَقُولُونَ...)

والأخرى تقول: (كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا فَأَتَمَّهَا وَأَكْمَلَهَا إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَدْخُلُونَهَا وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْهَا، وَيَقُولُونَ)

والملاحظ أن جملة الطواف الخاصة بـ (البيت) لم تشتبه مع غيرها من الروايات الأخرى، حيث قيل فيها:

(كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ) ولكن هناك مغايرة في تعدية فعل التعجب التابع لجملة الطواف على غير المتوقع فيه، تدعو إلى التريث عندها، والوقوف على بيان سببها، وثم نقول: إن معنى قوله: (يطوفون به) (أي يدورون حول جدرانه) [١] ومعنى(ويعجبون له): (أي لأجله) [٢]

---

(١) منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري لحمزة محمد قاسم ٢٣٨/٤راجعه: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط

عني بتصحيحه ونشره: بشير محمد عيون– الناشر: مكتبة دار البيان، دمشق – الجمهورية العربية السورية، مكتبة المؤيد، الطائف – المملكة العربية السعودية– عام النشر: ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م.

(٢) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٢٢/٦– المؤلف: أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر– ط: السابعة، ١٣٢٣ هـ.

بمعنى: (يستحسنونه ويمدحونه ويعجبهم بناؤه وحسن منظره) [1] والمغايرة التي ذكرها الحديث الشريف هنا هي أنه عدى الفعل (يعجبون) بالجار والمجرور (له) دون (منه) فلم يقل: (ويعجبون منه) وإنما قال: (فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ) وما ذاك إلا للفرق الواضح بين القولين، والدلالة الخاصة لكل من الجملتين؛ حيث إن قوله: (ويعجبون له) يأتي – والله أعلم– عندما يكون الشيء كله أو الشخص كله هو موضع الإعجاب أو محل التعجب، ومصداق ذلك ما رواه سيدنا عمر بن الخطاب – رضي الله عنه– من حديث سيدنا جبريل– عليه السلام – عندما سأل النبي – صلى الله عليه وسلم– عن الإسلام والإيمان والإحسان وأمارات الساعة، فقال :(بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ»، قَالَ:

---

(١) منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري ٤/٢٣٨

ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»)[1]

وشاهدنا في قوله: (فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ) حيث إن التعجب لم يكن خاصًا بشيء محدد في الرجل، وإنما كان التعجب من أمره كله لأن ما حدث منه جاء على (خلاف عادة السائل الجاهل، إنما هذا كلام خبير بالمسؤول عنه، ولم يكن في هذا الوقت من يعلم هذا غير النبي – صلى الله عليه وسلم– وليس السائل ممن عُرف بلقاء النبي – صلى الله عليه وسلم– ولا بالسماع منه) [2] قبل ذلك، يؤكد ذلك قول سيدنا عمر– رضى الله عنه– : (ولا يعرفه منا أحد) ومن ثَمَّ كان التعجب منصبًا على أمر الرجل كله، وحاله كله من حيث تصديقه دون تردد ، وسواد شعره، وبياض ثيابه، وجرأته في سؤال رسول الله – صلى الله عليه وسلم– بهذه الكيفية، ولم يكن التعجب واقعًا على أمر خاص فيه، دون ما سواه .

أما قوله: (يتعجبون منه) فيدل – والله أعلم – على أن هناك شيئًا خاصًا في الشيء المتحدث عنه، أو في الشخص الموجه إليه الكلام ، يثير هذا التعجب ويبعث عليه، ودليل ذلك ما تراه في رد الملائكة على السيدة سارة، زوج سيدنا إبراهيم –عليه السلام– عندما بشروها بغلام تلده وهي عجوز عقيم وبعلها شيخ كبير، فقالت:(يَاوَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ * قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ) (هود٧٢:٧٣) (وجواب الملائكة إياها

---

(١) مسند الإمام أحمد ٣٦/١ تح/ محمد فؤاد عبد الباقي – دار إحياء التراث – بيروت

(٢) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للمباركفوري ٣٩/١– الناشر : إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء – الجامعة السلفية – بنارس الهند – ط: الثالثة – ١٤٠٤ هـ ، ١٩٨٤ م

بجملة "أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ " إنكار لتعجبها؛ لأنه تعجب مراد منه الاستبعاد، وأمر الله: هو أمر التكوين، أي أتعجبين من قدرة الله على خرق العادات) [1]

إذن قولهم: (أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) خاص بشيء محدد وسبب معين، هو أمر تكوين الجنين في بطنها، وهي في سن الضعف والعجز، ومن هنا ندرك أن التعجب في قوله :(ويعجبون له) في شأن البيت، واقع على جملة البيت، الذي أحسن ذلك الرجل بناءه وتجميله، دون أن يكون هذا التعجب منصبا على جزء خاص منه، أو شيء بعينه فيه.

ومثل ما وقع التعجب على أمر البيت كله دون جزء خاص فيه، وقع كذلك أمر التعجب على البنيان كله في الرواية التي تقول:

(كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيَانًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ) وهناك رواية أخرى في أمر البنيان تقول:

(كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيَانًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، فَجَعَلَ النَّاسُ يُطِيفُونَ بِهِ، يَقُولُونَ: مَا رَأَيْنَا بُنْيَانًا أَحْسَنَ مِنْ هَذَا) والملاحظ في جملة الطواف الخاصة بهذا البنيان أن النظم قد اشتبه فيها بين الروايتين، حيث قال في الأولى: (فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ) وقال في الثانية: (فَجَعَلَ النَّاسُ يُطِيفُونَ بِهِ) والفرق بين الفعلين يتمثل في فرق لفظي ، وآخر معنوي، أما الفرق اللفظي، فيتمثل في أن الفعل المضارع (يطوفون) جاء من الفعل الثلاثي (طاف) وأن الفعل (يطيفون) آت من الفعل الرباعي (أطاف) .

أما التفرقة المعنوية فتكمن – والله أعلم – في أن قوله:(يطوفون به) يدل على الدوران العادي حول البنيان مع النظر إليه، أما قوله:

---

(١) التحرير والتنوير ١٢/١٢١:١٢٢

(يطيفون به) فيدل – والله أعلم – على الدوران الدال على التأمل وتدقيق النظر في جوانب هذا البنيان، ولا أراني أطرح مثل هذه التفرقة بين الفعلين، من دون أن يكون لها ظهير يساندها ، ودليل يقوي من عزمها، وينهض بثبوتها ، وما ذاك إلا لأن المتأمل في جملة (يطوفون به) في كل روايات الحديث – سواء أكانت هذه الجملة خاصة بالبيت أو البنيان أو البيوت – يجدها لا تدل إلا على الدوران حول البناء المذكور مع النظر اليه، وذلك لعدم وجود جملة أخرى تابعة لهذا الطواف، تكشف عن كنهه، وتبين ماهيته، أما في قوله: (يطيفون به) فقد وجدت جملة تابعة لهذا الطواف، تبين كيف كان وبأي صورة وقع، وتلك الجملة هي قوله:(فَجَعَلَ النَّاسُ يُطِيفُونَ بِهِ، يَقُولُونَ: مَا رَأَيْنَا بُنْيَانًا أَحْسَنَ مِنْ هَذَا) فقولهم: (مَا رَأَيْنَا بُنْيَانًا أَحْسَنَ مِنْ هَذَا) لا يتأتى من دوران عادي حول هذا البنيان، ولا بنظرة عادية له، وإنما يتأتى من دوران مصحوب بالتأمل، مع تدقيق النظر في بديع محاسنه وجمال وصفه، ومن ثَمَّ لم تأت هذه الجملة في كل روايات الحديث، إلا مع جملة (يطيفون به) وكأن اللغة العربية لما جعلت الفعل (يطيفون) من (أطاف) الرباعي، وكان هذا زائداً على (طاف) الثلاثي الذي منه (يطوفون) = زادت في معنى الفعل شيئًا لا يؤديه الناقص عنه في عدد الحروف ، وكأنها تريد أن تقول لنا:

إذا تساوى الفعلان في الدلالة العامة وزاد أحدهما على الآخر في عدد الأحرف، كان لهذه الزيادة مغزى يدركه من تأمل لبنات اللغة وراجع تراكيبها من أصحاب الذوق الشفيف والحس الرهيف؛ لتؤكد لنا مقولة أبنائها: (إن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى)

ومما يلاحظ في جملة الطواف الخاصة بكلمة (البيوت) الواردة في رواية الإمام مسلم أنها خلت من تعلقها بالجار والمجرور، الذي جاء مع جملة الطواف الواردة في ثنايا الحديث عن البيت والبنيان، حيث قيل فيها:

(كَمَثَلِ رَجُلٍ ابْتَنَى بُيُوتًا فَأَحْسَنَهَا وَأَجْمَلَهَا وَأَكْمَلَهَا، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهَا، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ) فلم يأت مثلاً (فجعل الناس يطوفون بها) كما قال في غيرها: (يطوفون به) ولعلَّ السرَّ في ذلك – والله أعلم – هو أن الكلام في هذه الرواية عن جمع متمثل في لفظ (البيوت) حيث يقول: (كَمَثَلِ رَجُلٍ ابْتَنَى بُيُوتًا) وكذلك أمر الطواف واقع من جمع ، وهم الناس، وفي ذلك يقول:(فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ) ومن ثَمَّ لما كان من شأن البيوت أن تكون متعددة، وربما متفرقة بعضها عن بعض، كان من الصعب جعل أمر الطواف بها جميعاً واقعاً من جميع الناس في ساعة واحدة، ولكن وربما طاف الناس حول بعضها قبل بعضها الآخر، فإذا ما انتقلوا إلى إحداها أصبح سواها فارغًا من الطواف، وهكذا كلما تنقل الناس من بيت إلى آخر ، كان أحدها مشغولًا بالطواف والآخر فارغًا منه، ومن ثمَّ تعذر تقييد الطواف بالجار والمجرور الراجع إلى تلك البيوت، لكون الطواف في بعضها قائما، وفي بعضها متروكًا، وعليه لما كان الطواف في بعضها متروكًا حسن ترك تقييد الطواف بالجار والمجرور لهذا المعنى.

فان قيل: فلماذا قال في هذه الرواية: (وَيُعْجِبُهُمُ الْبُنْيَانُ) ولم يقل : وتعجبهم البيوت مع أن الحديث عنها؟ قيل: – والله أعلم– إن هذا راجع إلى أمرين:

الأول: أن المراد بالبنيان هنا جنس البناء، أيًا كان نوعه: بيتًا أو دارًا أو بيوتًا، وهذا الجنس ينطوي تحته جميع أنواع البيوت بمختلف هيئاتها وتعدد أشكالها.

والآخر: أن الإفراد القائم في لفظ البنيان مع الإعجاب به، أليق من الجمع الموجود في لفظ البيوت؛ لأن البيوت المراد بها الشرائع التي جاءت على أيدي النبيين والمرسلين، أما البنيان فمراد به هذا الدين الذي يربط أول الأنبياء بآخرهم، وهذا أكمله صلى الله عليه وسلم بوجوده وشرعه، ومن ثم

أشاروا إليه بقولهم: (أَلَّا وَضَعْتَ هَاهُنَا لَبِنَةً فَيَتِمَّ بُنْيَانُكَ) فانظر إلى كلمة: (ها هنا) وما تدل عليه من الإشارة إلى موضع معين في بناء معين، وهذا الموضع ذكروه في قولهم:(فَيَتِمَّ بُنْيَانُكَ) ومن ثَمَّ كان ذكر الإعجاب بالبنيان تمهيدًا لقوله:(فَيَتِمَّ بُنْيَانُكَ) وأوفق من ذكر الإعجاب بالبيوت لتعدد أماكنها وتنوع أشكالها.

وإن قلت: إن حصر الإعجاب في شيء واحد وهو البنيان، أدل على ما حصل في النفس من مقدار الانبهار، وبيان ما استولى عليها من أمر الإعجاب كان ذلك حقًا؛ لأن تعلق الإعجاب بالجمع (بيوتًا) يدل على تفرق هذا الإعجاب على عدد تلك البيوت، ومن ثمَّ لا ندري ما كمُ الإعجاب الذي نال كل بيت منها، ومن هنا كان إفراد الإعجاب ببناءٍ واحد أوفق من نثره على مجموعة من البيوت يُجهل مقدار الإعجاب في كل منها.

وقد اشتبه نظم الإعجاب المتعلق بكلمة (الدار) في روايتين حيث قيل في إحداها:

(كَرَجُلٍ بَنَى دَارًا فَأَكْمَلَهَا وَأَحْسَنَهَا إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَدْخُلُونَهَا وَيَتَعَجَّبُونَ وَيَقُولُونَ)

وقيل في الأخرى:(كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا فَأَتَمَّهَا وَأَكْمَلَهَا إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَدْخُلُونَهَا وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْهَا، وَيَقُولُونَ)

وأول ما يلاحظ على أمر الدار هنا أن النظم الشريف عدل عن الطواف الذي ذكره مع (البيت والبيوت والبنيان) إلى الدخول، فقال: (فَجَعَلَ النَّاسُ يَدْخُلُونَهَا) ولم يقل: فجعل الناس يطوفون بها؛ وما ذاك إلا

لأن الدار هو: (المحل الذي يجمع البناء والعَرْصة) [١] ، أو هو (اسم لما اشتمل على بيوت ومنازل وصحن غير مسقف) [٢].

إذن الدار بها رحبة واسعة، مشتملة على هيكل البناء الموجود فيها، وعليه فإن النظر إليها والتأمل فيها، لا يتم إلا عن طريق الدخول إلى تلك الرحبة، ولو خلت الدار من تلك الرحبة لم تكن دارًا بل بيتًا أو بنيانًا، والبيت والبنيان يطوف الناس حوله ليروا ما به من حسن، وكيف جمَّلهُ صاحبه وكمَّل وصفه، وعليه فالتعبير بالدخول عند الحديث عن الدار تعبير دقيق ينم عن إتقان المعرفة بخصائص اللغة ، ومدى ما تنفرد به كل لفظة عن أختها التي تشترك معها في الدلالة العامة .

أما مشتبه النظم الموجود في جملة التعجب الواردة في الحديث عن الدار فجاءت في رواية الإمام البخاري كما يأتي :

(فَجَعَلَ النَّاسُ يَدْخُلُونَهَا وَيَتَعَجَّبُونَ وَيَقُولُونَ) وأما رواية الإمام مسلم فتقول:

(فَجَعَلَ النَّاسُ يَدْخُلُونَهَا وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْهَا، وَيَقُولُونَ) والناظر إلى خلو إحداهما من الجار والمجرور المتعلق بها، ووجوده في الأخرى يرى أن لهذا سببين:

الأول: أمر لفظي؛ حيث إن رواية الإمام البخاري التي خلا فيها فعل التعجب من الجار والمجرور، جاءت كلها مبنية على الإيجاز في بناء جملها، فتراها تقول:

(مَثَلِي، وَمَثَلُ الأَنْبِيَاءِ كَرَجُلٍ بَنَى دَارًا فَأَكْمَلَهَا وَأَحْسَنَهَا ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَدْخُلُونَهَا وَيَتَعَجَّبُونَ وَيَقُولُونَ: لَوْلاَ مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ) أما رواية

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم ٤١٨/٩

(٢)كتاب الكليات . لأبى البقاء الكفومي ٣٥٥

الإمام مسلم فقد زيد فيها كلمة (مثل) بعد الكاف فقيل: (كمثل رجل) وفي الحديث عن جملة التزيين، ذكرت رواية الإمام مسلم (التمام والكمال) فقالت: (بَنَى دَارًا فَأَتَمَّهَا وَأَكْمَلَهَا) بينما ذكرت رواية الإمام البخاري الكمال والحسن فقالت: (بَنَى دَارًا فَأَكْمَلَهَا وَأَحْسَنَهَا) وفرق بين التعبيرين سبق في بيانه في الحديث عن جُمل التزيين، كما زيد في رواية الإمام مسلم جملة الختام التي يقول فيها ﷺ : (فَأَنَا مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ، جِئْتُ فَخَتَمْتُ الْأَنْبِيَاءَ) بينما خلت رواية الإمام البخاري من هذه الجملة، وعليه لما كانت رواية الإمام مسلم زائدة في ألفاظها على رواية الإمام البخاري، جاء الجار والمجرور (منها) متعلقاً بفعل التعجب فيها فقيل: (يَدْخُلُونَهَا وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْهَا) وهذا هو تمام الأمر اللفظي.

أما الأمر المعنوي: فيكمن في أن رواية الإمام البخاري التي تقول: (فَجَعَلَ النَّاسُ يَدْخُلُونَهَا وَيَتَعَجَّبُونَ وَيَقُولُونَ) كأنها أثارت في حفيظة السامع سؤالاً مؤداه: من أي شيء يتعجب أولئك الداخلون؟ أَمِنْ أمر الدار على وجه العموم أمْ مِنْ شيء خاص فيها يبعث على هذا التعجب ويؤدي إلى ذلك الإعجاب؟ فجاءت رواية الإمام مسلم لتضع يد السامع على الشيء الذي كان منه التعجب وبسببه تعلق الفعل بالجار والمجرور، فقيل: (وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْهَا) فدلت بذلك على أن التعجب هنا كان من أمر خاص، نقص به تمام الدار وكمالها في أعين الداخلين، ألا وهو تلك اللبنة المفقودة التي بها يكمل أمر الدار ويتم مالها من حسن وجمال، وقد بيَّنوا هذا الأمر الخاص بقولهم: (لَوْلَا مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ) وأكده – صلى الله عليه وسلم بقوله: (فَأَنَا مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ، جِئْتُ فَخَتَمْتُ الْأَنْبِيَاءَ)... والله أعلم

المطلب الرابع

مشـتبه النظـم النبـــوي
في أدوات التحضيض وجمـل الختـام

واشتمل على:

[أ] أدوات التحضيض على وضع اللبنة.

[ب] جمل الختام في روايات الحديث.

أولا : أدوات التحضيض على وضع اللبنـــة:

بعد أن طاف الناس بالبناء المذكور، وأعجبهم إتقان بنائه وحسن جماله وتمام وصفه، لفت انتباههم إليه موضعُ لبنة غير موجودة، ومكان درة في زاوية منه مفقودة، فأخذهم ما يأخذ الزائرين من الدهشة والعجب، وانتابهم ما ينتاب الطائفين حول البنيان البديع من الحيرة والغرابة، بسبب عدم وجود تلك اللبنة وخلو مكانها، فأخذوا يحضون صاحب البناء على سد تلك الثلمة المرئية، وإكمال ما نقص من الدار عن طريق وضع تلك اللبنة (التي لا يزال مكانها خاليًا؛ ليصبح هذا البناء في غاية الكمال والجمال) [1]

ولكن لما كان الطائفون حول هذا البناء البديع من الكثرة بمكان، بحيث تعددت نظرتهم إلى هذا البناء ،وتنوع تأملهم فيه، تعددت تبعًا لذلك جمل التحضيض التي نطقوا بها، وتنوعت مفردات ألفاظها ولبنات تركيبها، ومن ثم جاءت هذه الجمل على ثلاث هيئات هي:

(هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ؟)...(أَلَّا وَضَعْتَ هَاهُنَا لَبِنَةً فَيَتِمَّ بُنْيَانُكَ)... (لَوْلاَ مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ)

وأول ما يلفت انتباه القارئ الكريم إلى هذه الجمل الثلاث، أنها بدأت بأدوات تشترك جميعها في أداء معنى واحد، هو التحضيض على فعل أمر ما، وتلك الأدوات هي (هلّا... ألّا... لولا...) ولعل من الصعوبة بمكان تحديد المراد الدقيق من تلك الأدوات ، وإيجاد الفرق بينها بمجرد قراءة هذه الجمل أو سماعها أول مرة، بحيث يصعب أن تنبيك عن المراد منها، وكأنها بكماء الإجابة خرساء المنطق، ولكن عند مراجعة سياقها مرة بعد مرة، وإعادة النظر في تركيب بناء كل جملة منها وما تعلقت به، ومحاولة الطرق

---

(١) منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري ٤/٢٣٨

على باب معناها الدقيق؛ ليكشف عما وراءه من دلالات، وما خبأه خلفه من إشارات، يمكن القول – بعد عون الله تعالى– بأن:

(هـلّا) فـي قولـه: (هَـلَّا وُضِـعَتْ هَـذِهِ اللَّبِنَـةُ)؟ تـؤدي معنـى : التحضيض الدال على التحفيز والتشجيع للقيام بفعل معين مع الشدة والقوة في أداء ذلك الفعل.

وهذا المعنى يتلاءم مع صياغة الفعل الواقع بعد (هلا) حيث جاء الفعل المراد تنفيذه بقوة بصيغة المبني للمجهول فقيل: (هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ)؟ وبناء الفعل (وُضعت) للمجهول فيه إبراز لأهمية هذا الحدث والرغبة في وقوعه بشدة، والاهتمام بأمره حتى إن القلب ليتعلق به ويتمنى وقوعه، بغض النظر عن الفاعل الذي يؤدي هذا الفعل، أو يقوم به؛ لأن البناء لا تكتمل صورة جماله، ولا يتم حسن بنائه إلا بهذا الحدث وذلك الفعل، ومن ثم كانت الرغبة في وقوعه شديدة، والحاجة إلى وجوده قوية، حتى لا يبقى هذا البناء وبه شائبة من نقص أو مقدار من خلل.

ومما يؤكد أن (هلا) تدل على التحفيز والتشجيع للقيام بالفعل مع شيء من القوة والشدة، أنهم بعد أن بنوا الفعل (وُضع) للمجهول فقالوا: (هَلَّا وُضِعَتْ) أشاروا إلى موضع اللبنة المفقودة باسم الإشارة الدال على القريب، مع تعريف اللبنة فقالوا (هذه اللبنة) ليُعلم من جملة قولهم: (هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ)؟ مدى اهتمامهم بأمرها، ورغبتهم في وضعها وشدة حرصهم على وجودها.

أما أداة التحضيض (ألّا) في قولهم:(أَلَّا وَضَعْتَ هَاهُنَا لَبِنَةً فَيَتِمَّ بُنْيَانُكَ) فتحمل في رحمها (الرغبة في سرعة وقوع الفعل من المتحدث إليه)

ودليل ذلك ما تراه في بناء الفعل بعدها للمعلوم حيث قيل: (أَلَّا وَضَعْتَ) وبناء الفعل للمعلوم (وَضعت) يدل على أن الكلام موجه إلى المتحدث إليه، ويدل كذلك على رغبتهم في سرعة وقوع الحدث منه لا من

غيره، ودليل هذه الرغبة المنطوية على السرعة في وقوع الحدث من الفاعل، ما تجده في أداة التنبيه والإشارة في قولهم: (ها هنا) والتنبيه لا يكون إلا على أمر مهم، ثم توجيه الكلام إليه مرة أخرى بقولهم: (فيتم بنيانك).

إذن الكلام منصب على الفاعل لسرعة تنفيذ الحدث المطلوب منه، ومن دلائل تلك السرعة –أيضا– ما تجده في تلك الفاءات التي تصدرت جملة التحضيض، وامتدت حتى جملة الختام التي ختم بها الحديث الشريف، حيث قيل: (فَيَقُولُونَ: أَلَّا وَضَعْتَ هَاهُنَا لَبِنَةً فَيَتِمَّ بُنْيَانُكَ فَقَالَ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: فَكُنْتُ أَنَا اللَّبِنَةَ) فانظر الى تلك الفاءات في هذه الكلمات (فيقولون... فيتم فقال... فكنت...) وتأمل مواقعها من نظم الجمل لتجد أن تلك الفاءات (تجعل أول ما دخلت عليه موصولاً بآخر ما عطفت عليه، كأنها عروة يمسك بها الحدث بالحدث، والفعل بالفعل، والقول بالقول، والحركة بالحركة، وتُنتج لك من كل هذه الأحداث والأقوال والأفعال، صورة واحدة وفعلاً واحداً قد كونته كل هذه المكونات،... وهذه الفاءات صاغت لك من هذه الأحداث بناءً لغوياً واحداً يتحرك تحت بصر بصرتك) [١]

وكأنك ترى أحداث هذه الجمل ومعانيها يتلاحق بعضها إثر بعض (وينضم ثانيها إلى أولها ويُبنى لاحقها على سابقها) [٢] بإيقاع سريع يرفض التباطؤ، ويتبرأ من المهادنة في وقوع الحدث، وما من شك في أن دلالة الفاء على التعقيب في هذه الأحداث والأقوال تؤكد الرغبة في سرعة وقوعها وانتهاء أمرها.

---

(١) شرح أحاديث من صحيح البخاري د/ محمد محمد أبو موسى ٥٤ – مكتبة وهبة – ط الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠١ م.

(٢)شرح أحاديث من صحيح البخاري د/ محمد محمد أبو موسى ٦٥

أما (لولا) الواردة في قولهم: (لَوْلاَ مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ) فهي (تحضيضية، وفعلها محذوف تقديره: لولا أكمل موضع اللبنة) [1] ويلاحظ أن قولهم:(لَوْلاَ مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ) لم يأت في كل روايات الحديث إلا مع الحديث عن الدار ، ففي رواية الإمام البخاري قيل:

(مَثَلِي، وَمَثَلُ الأَنْبِيَاءِ كَرَجُلٍ بَنَى دَارًا فَأَكْمَلَهَا وَأَحْسَنَهَا ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَدْخُلُونَهَا وَيَتَعَجَّبُونَ وَيَقُولُونَ: لَوْلاَ مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ)

وفي رواية الإمام مسلم قيل:(مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا فَأَتَمَّهَا وَأَكْمَلَهَا إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَدْخُلُونَهَا وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْهَا، وَيَقُولُونَ: لَوْلَا مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ ، قَالَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم –: فَأَنَا مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ، جِئْتُ فَخَتَمْتُ الْأَنْبِيَاءَ) وموضع اللبنة الذي جاء بعد(لولا) في الروايتين ذُكر قبل ذلك – أيضا– في الروايتين، ولكن بتنكير (لبنة) حيث قال صلى الله عليه وسلم –:(كَرَجُلٍ بَنَى دَارًا فَأَكْمَلَهَا وَأَحْسَنَهَا ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ) وقال :

(كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا فَأَتَمَّهَا وَأَكْمَلَهَا إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ) ورداء التنكير الذي جاءت به اللبنة في هذا الاستثناء (إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ) كان موافقاً ومتناغماً مع الحديث عن الدار جملة؛ لأن الحديث لم يحدد هنا في أي زاوية من زوايا هذه الدار كانت هذه اللبنة، كما تحدد موقعها في غير هذه الرواية، ومن ثَمَّ لمّا لم يُحدد مكانها كان كأنها مجهولة غير معروفة لأي أحد، وعليه جاءت نكرة فقيل: (إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ) ولما بدأ الناس بالدخول إلى هذه الدار، والتعرف على مواطن الحسن فيها ومواضع التمام بها، وقع بصرهم على هذا الفراغ الذي أحدثه خلو تلك اللبنة من مكانها، وأمعنوا

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ٥٥٩/٦ – تح /محمد فؤاد عبد الباقي – دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ .

النظر في هذا النقص، وواصلوا التدقيق في هذا الفراغ الذي أحدثته تلك اللبنة المفقودة، وتيقنوا بعد ذلك من أن كمال تلك الدار وتمام حسنها لا يتم إلا بهذه اللبنة، ومن ثمَّ كسوها ثوب التعريف فقالوا:(لَوْلَا مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ) ومن خلال ما سبق يمكن القول:

بأن التحضيض الذي خرج إلى المستمع في قولهم: (لَوْلَا مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ) هو تحضيض يكتسي ثوب التحسر والتندم على عدم وجود تلك اللبنة في هذه الدار التي اكتملت لها أسباب الحسن وتوفرت لها صفات الجمال.

ومن هنا يمكن القول بعد كل ما سبق: بأن ترتيب أدوات التحضيض على حسب المعاني التي أدتها كل منها يكون كما يأتي:

أولا : (لولا) الدالة على التندم والتحسر على عدم وقوع الفعل.

ثانياً:(هلا) الدالة على التحفيز والتشجيع على وقوع الفعل بشيء من القوة.

ثالثاً: (ألا) الدالة على سرعة وقوع الفعل من المتحدث إليه.

وكأن الداخلين إلى هذا البناء المذكور بمجرد أن رأوا هذا الفراغ في موضع تلك اللبنة، أصيبوا بالحسرة والندم على عدم وجودها، ومن هنا قالوا: (لَوْلاَ مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ) ثم بدأوا في التحفيز والتشجيع على الإتيان بها، فقالوا: (هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ؟) ثم طالبوا بسرعة وقوع هذا الفعل من المسؤول عن هذا البناء، فقالوا: (أَلَّا وَضَعْتَ هَاهُنَا لَبِنَةً فَيَتِمَّ بُنْيَانُكَ) حتى يكتمل له صفات الكمال، ويتم له مواضع الحسن...

ثانيا: جمل الختام الواردة في روايات الحديث

الناظر إلى جمل الختام التي خُتمت بها روايات هذا الحديث بين البخاري ومسلم، يجد طريقة التعبير بها قد اختلفت من رواية إلى أخرى، وتنوعت الصيغ اللفظية الدالة على المعنى المراد منها، حيث يقول – صلى الله عليه وسلم–: (فَكُنْتُ أَنَا اللَّبِنَةَ... فَكُنْتُ أَنَا تِلْكَ اللَّبِنَةَ... فَأَنَا اللَّبِنَةُ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ... فَأَنَا مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ، جِئْتُ فَخَتَمْتُ الْأَنْبِيَاءَ)

وأول ما يمكن ملاحظته– إجمالًا– على تلك الجمل، أن جميعها تكتنف بين جنبيها دلالة واحدة، وتؤدي بحروفها معنى أشم، لا يحيد عنه إلا كل من طبع الله على قلبه، وأعمى بصيرته، ذلكم المعنى هو: كونه – صلى الله عليه وسلم– آخر اللبنات في صرح الأنبياء والمرسلين– صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ثم مما يلاحظ كذلك على هذه الجمل– إجمالا– أن جميعها قد بدأت بالفاء، يتبين ذلك بالنظر إلى قوله– صلى الله عليه وسلم–: (فَكُنْتُ أَنَا اللَّبِنَةَ... فَكُنْتُ أَنَا تِلْكَ اللَّبِنَةَ... فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ... فَأَنَا مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ، جِئْتُ فَخَتَمْتُ الْأَنْبِيَاءَ)

وهذه الفاء دلت على الترتيب والتعقيب الذي صدر منه – صلى الله عليه وسلم– من غير تمهل أو تريث، وكأنهم لما قالوا: (لَوْلاَ مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ... هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ؟ ... أَلَّا وَضَعْتَ هَاهُنَا لَبِنَةً فَيَتِمَّ بُنْيَانُكَ) جاء رده – صلى الله عليه وسلم – بتلك الجمل المبدوءة بالفاء؛ لبيان السرعة في تلبية رغبات الناظرين إلى هذا البناء المذكور، ثم إن تصدير تلك الجمل بهذه الفاء قد طوى وراءه أحداثاً أراد المتكلم ألَّا يشغل عقل السامع بها؛ لأنها لا تمنحه الرغبة المؤملة في وضع اللبنة كما منحته تلك الفاء، حيث كان من الممكن أن يقال:

فلما سمع صاحب البناء كلامهم، أراد أن يحقق لهم ما تمنوا، فاختار لبنة ذات حسن يتواءم مع حسن هذا البناء، ثم وضعها في هذا الفراغ المشاهد، فاكتمل لهم ما أرادوه، وحسن في نظرهم ما أملوه... ولكن كل ذلك قد انطوى بتلك الفاء التي تصدرت كل جملة من جمل الختام، واتصل الطرف الأول وهو التحضيض بالطرف الثاني وهو كونه – عليه الصلاة والسلام – تلك اللبنة المرجوة، دون أن يكون هناك تقصير يخل بالمعنى المراد.

ومما يمكن رصده– كذلك– في جمل الختام التي جاءت في تلك الروايات، إيثار المتكلم التعبير بالفعل الماضي في قوله: (فَكُنْتُ أَنَا اللَّبِنَةَ) (فَكُنْتُ أَنَا تِلْكَ اللَّبِنَةَ) (جِئْتُ فَخَتَمْتُ الْأَنْبِيَاءَ) ومعلوم أن التعبير بالفعل الماضي (لا يدع الخاطر يحوم في أفق الانتظار، وإنما يلج به قلب الحقيقة التي شملته وأحاطت به) [1] والحقيقة التي يروم المتكلم هنا إفادة السامع بها، وانصراف ذهنه إليها، هي تحقق وضع اللبنة المرجوة في المكان اللائق بها، مع التأكيد على أنه ﷺ هو اللبنة المؤملة، والقطعة المكملة التي خُتم بها صرح الأنبياء والمرسلين –عليهم الصلاة وأتم التسليم– ومن ثَمَّ ليعلم الجميع (أن تلك اللبنة إذا وُضعت لم يبق فيها محل لأن يُعمل فيها شيء، فكان خبر النبي ﷺ هذا مشعراً أنه ختم الأنبياء، كما ختمت تلك اللبنة ذلكم البناء، فلم يبق بعده لبانٍ عمل، لأنه ﷺ تمم البناء) [2]

وقد كان رِدْءًا للفعل الماضي في إفادة توكيد هذه الأخبار، إسناد تلك الأفعال إلى ضمير التكلم منه – صلى الله عليه وسلم– حيث يقول:

---

(١) خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني – دكتور/ محمد محمد أبو موسى ٢٦٨

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح لابن هُبَيْرَة الشيباني ٣١٨/٨ – تح فؤاد عبد المنعم أحمد – الناشر: دار الوطن سنة النشر: ١٤١٧هـ .

(فكنتُ... فجئتُ... فختمتُ...) والإسناد بهذه الصورة قد توغل في صدق الخبر، وبسط نفوذه على أصحاب الفِكَر، حتى بلغ من النفس مبلغاً لم يدع فيها مجالاً للشك في أمره، أو تردداً في صدر مستمعه، كيف وهو المقول عنه- صلى الله عليه وسلم- في محكم التنزيل (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى)(النجم٣-٤).فسبحان من حكم بصدق حديثه ويقين كلامه صلى الله عليه وسلم .

وكذلك مما يلاحظ على جمل الختام أن جميعها استخدمت ضمير المتكلم (أنا) حيث قال:

(فَكُنْتُ أَنَا اللَّبِنَةَ... فَكُنْتُ أَنَا تِلْكَ اللَّبِنَةَ... فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ... فَأَنَا مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ، جِئْتُ فَخَتَمْتُ الْأَنْبِيَاءَ) ومعلوم (أن الأسماء المضمرة ثلاثة ...أنا... وأنت... وهو... وأعرف الأقسام الثلاثة قولنا: أنا ؛لأن هذا اللفظ لفظ يُشير به كل أحد إلى نفسه، وأعرف المعارف عند كل أحد نفسه) [1] وكان من الممكن الاستغناء عن هذا الضمير في كل هذه الجمل فيقال مثلا:

(فكنت اللبنة... فكنت تلك اللبنة... فكنت اللبنة وخاتم النبيين... فكنت موضع اللبنة جئت فختمت الأنبياء) ولكنَّ إيثاره ﷺ إيراد ضمير الفصل (أنا) في كل جملة من هذه الجمل؛ للتأكيد على إفادة حصر النبوة الخاتمة في ذاته ﷺ على وجه الاستغراق والتأبيد، في كل جملة من تلك الجمل، ثم تأكيد اختصاصه ﷺ بهذه المنزلة دون ما سواه، ومن ثَمَّ لا يكون هناك مجال لأحد أن يدعي النبوة بعده ﷺ وإن وُجد فالكذب إزاره والبهتان رداؤه، وتكون تلك الجمل وأمثالها – من الكتاب والسنة- ثباتاً

(١) التفسير الكبير للرازي ١/١٣٥

للمؤمنين، وحجة دامغة في نحر المبطلين، إلى أن يقوم الناس لرب العالمين.

ومما يلفت النظر في جمل الختام هذه، استعماله – صلى الله عليه وسلم– الفعل الماضي (ختمت) للتعبير عن ختم النبوة حيث يقول: (فَأَنَا مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ، جِئْتُ فَخَتَمْتُ الْأَنْبِيَاءَ) ، ثم استعماله اسم الفاعل من هذا الفعل للدلالة على ذلك المعنى، حيث يقول:(فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ) وما ذاك إلا لأن لكل استخدام منهما معنى يؤديه ودلالة ينهض بها، حيث إن استخدام الفعل الماضي (ختمت) يدل على تحقق وقوع الفعل وتأكيده ، وأنه لا مجال للشك في أمره، أو التردد في قبوله، أما استخدام اسم الفاعل (خاتم) فيدل على الثبات والدوام في باب ختم النبوة، وكأنه ﷺ باستخدام الفعل الماضي مرة واستخدام اسم الفاعل مرة أخرى، أراد أن يترقى بالحديث في درج المعنى من حالة إلى أخرى، حيث دل – أولاً– على تحقق وقوع ختمه للنبوة بالفعل الماضي (ختمت)، ومن هنا قال:(جِئْتُ فَخَتَمْتُ الْأَنْبِيَاءَ) ثم دلَّ– ثانياً– على ثباته في هذا الأمر ودوام تحققه به، وعدم مغادرته لهذه الصفة، باسم الفاعل (خاتم) ومن هنا قال: (وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ) للدلالة على أن هذا الوصف دائم له، بحيث لا ينفك عنه طرفة عين، ولا يحيد عنه مثقال ذرة،... وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

ومما يلفت النظر كذلك في جمل الختام استخدامه – صلى الله عليه وسلم– الجمعين:(النبيين والأنبياء) وفي ذلك يقول:(فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ) ويقول: (فَأَنَا مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ، جِئْتُ فَخَتَمْتُ الْأَنْبِيَاءَ)

وقبل الحديث عن الفرق الدقيق بين الجمعين، والمعنى المكتنف لكل من اللفظين، يجدر بالباحث أن يضع بين يدي القارئ الكريم، بعض ما قاله أهل العلم في التفرقة بين هذين الجمعين، حتى تكون التفرقة التي ذكرها

الباحث – بعد ذلك– بين الجمعين، مؤسسة ومبنية على مناقشة كلام من سبقه في هذا الشأن ...ومن هنا أقول:

إن الشيخ أبا حيان الأندلسي جعل كلًّا من (الأنبياء و النبيين) في حال مجيئهما مُعرَّفين بـ (أل) من الجموع المتساوية في الدلالة، بحيث لا تجد بينهما فرقاً في المعنى على هذه الصورة ، بخلاف مجيئهما مُنكَّرين فقال: (ولا فرق في الدلالة بين النبيين والأنبياء؛ لأن الجمعين إذا دخلت عليهما (أل) تساويا، بخلاف حالهما إذا كانا نكرتين، لأن جمع السلامة إذ ذاك ظاهر في القلة، وجمع التكسير على أفعلاء ظاهر في الكثرة)[1]

(ولم يسلم الدكتور / الخضري بما قاله صاحب البحر، بل قال ما يفيد أن النبيين جمع يدل على القلة، والأنبياء جمع يدل على الكثرة، واستشهد على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ البقرة ٦١، وبقوله: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ المَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ آل عمران ١١٢، وبين أن آية البقرة كان الخطاب فيها موجهًا إلى معاصري نبي الله موسى–عليه السلام – فكان لوجوده بين

---

(١) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٣٩٩/١ – تح/ الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض

دار الكتب العلمية – لبنان– بيروت – الطبعة : الأولى ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.

أظهرهم أثر في تقليل نسبة القتل عندهم، فلذلك قال: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ﴾، أما آية آل عمران فكان الخطاب فيها لليهود المعاصرين للنبي – صلى الله عليه وسلم – فكان بُعد ما بين نبي الله موسى – عليه السلام – وسيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – مستلزماً كثرة ما وقع من قتل الأنبياء بعده – عليه السلام –، فلذلك قال: ﴿وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ﴾)[1]

(ومع إجلالي لصاحبي الرأيين السابقين إلا أن في النفس من كلامهما شيئًا، وذلك لأن القول بأن الصيغتين عند دخول أل عليهما متساويتان في الدلالة شيء يجعل الباحث يتساءل قائلًا: إذا كانتا بمعنى واحد، فلماذا لم يكتف القرآن الكريم بإحداهما عن الأخرى، حتى لا تكون هناك زيادة في القرآن ليست لها كبير فائدة سوى الترادف بين الألفاظ، والاتساع في معانى المفردات؟ مع أن القول بالترادف والاتساع إنما يصح تعليلًا إذا كان ذلك في كلام الناس، أما في كلام الحق سبحانه فلابد أن تكون لكل كلمة دلالتها الخاصة بها، بحيث لا تصلح غيرها مكانها، وإذا كان الدكتور الخضري ـ رحمه الله ـ قد قيد الأنبياء بالكثرة والنبيين بالقلة، فإن كلام الشيخ لا يمكن حمله على إطلاقه؛ لأن هناك من الآيات التي وردت فيها صيغة النبيين والأنبياء قد خالفت محل استشهاد الشيخ الجليل، فإذا كان الشيخ قد ذكر أن النبيين تدل على القلة؛ لأنها وردت ضمن الحديث عن بنى إسرائيل المعاصرين لنبي الله موسى – عليه السلام – والذى كان لوجوده بين أظهرهم أثر في تقليل عدد القتلى من النبيين، فإن صيغة الأنبياء– الدالة على الكثرة بنص كلام الشيخ الخضري– قد ذكرت في الحديث عن بني إسرائيل

---

(١)دلالة المتشابه في صيغ الجموع في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية للباحث/ ممدوح شعراوي محمود محمد ص ٣٠٠:٣٠١ رسالة ماجستير – قسم البلاغة – كلية اللغة العربية بأسيوط – ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م .ينظر: الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ دراسة تحليلية للإفراد والجمع في القرآن د/ محمد الأمين الخضري ١٤٣: ١٤٥– مطبعة الحسين الإسلامية – ط : الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.

المعاصرين لنبي الله موسى – عليه السلام – وذلك في قوله: ﴿يَسْئَلُكَ أَهْلُ الكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِن ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا العِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ البَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَاناً مُّبِيناً * وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا البَابَ سُجَّداً وَقُلْنَا لَهُمْ لاَ تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً * فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ النساء ١٥٣: ١٥٥) [١]

(وبذلك تكون الصيغتان (الأنبياء والنبيين) قد ذكرتا في الحديث عن بني إسرائيل المعاصرين لسيدنا موسى – عليه السلام –، فأيتهما تكون للقلة، وأيهما تكون للكثرة؟ وإذا كان الشيخ قد قيد دلالة الأنبياء على الكثرة؛ لأنها وردت في الخطاب الموجه للأمة المحمدية ومن عاصرهم من اليهود، فإن صيغة النبيين المعرفة بأل تدل كذلك على الكثرة من دون أن تحتاج إلى بيان علة في كثرتها، وخير دليل على ذلك قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ الأحزاب٤٠، وقوله: ﴿وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ الزمر ٦٩، فهل يستطيع أحد أن يقول هنا: إن النبيين دالة على القلة؟ إذ لو كانت الأنبياء للكثرة والنبيون للقلة لقال: وخاتم الأنبياء، ولقال في الآية الثانية: وَجِيءَ بالأنبياء والشهداء، حتى يكون هناك ـ بعد الدلالة على الكثرة ـ توافق صوتي بين الشهداء والأنبياء) [٢].

---

(١) دلالة المتشابه في صيغ الجموع في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية للباحث/ ممدوح شعراوي محمود محمد ص ٣٠١

(٢) دلالة المتشابه في صيغ الجموع في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية للباحث/ ممدوح شعراوي محمود محمد ص ٣٠٢

(والذى يبدو. والله أعلم بالصواب . أن الصيغتين قد خرجتا من باب القلة والكثرة إلى شيء آخر، وذلك لأن كلًا من الصيغتين صفة) [١] والصفة إذا جمعت جمع تكسير غلبت عليها الاسمية وقوى جانب التكسير فيها، وإذا جمعت جمع سلامة قويت فيها الوصفية فأدت معنى الفعل وجرت مجراه [٢]

(وهذا ما يُرى في الصيغتين، حيث إن " أنبياء " التي جمعت جمع تكسير على (أفعلاء)، تشير إلى تلك الطائفة التي أرسلها الحق سبحانه؛ ليخرج بهم الناس من الظلمات إلى النور، ويهديهم إلى صراط مستقيم، فالجمع أنبياء يشير إلى أسماء وذوات هذه الطائفة من الناس ليس إلا، ولذلك ترى في سور القرآن أن الحق سبحانه قد خصهم بسورة كاملة في كتابه العزيز، اسمها سورة الأنبياء، ولم يسمها سورة (النبيون)، كما سمى سورة أخرى سورة المؤمنون، لأنه في المؤمنون أراد . والله أعلم . أن يحدثنا عن صفات هؤلاء الذين آمنوا، لأنه من غير المعقول أن يذكر أسماءهم؛ لأن هذه الصفات ممتدة في الأمة إلى قيام الساعة ويندرج تحتها خلق كثير، لذلك سمى السورة بجمع السلامة، وجاءت صفات هؤلاء المؤمنين بجمع السلامة كذلك، انظر إلى قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ (المؤمنون١:٥) إلى غير ذلك من الصفات التي ذكرتها السورة الكريمة، أما هنا فوجه تسميتها سورة

---

(١) السابق ٣٠٢

(٢) ينظر: شرح المفصل لابن يعيش ٣/٢٥٠- قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب- دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان – ط: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

الأنبياء أنها ذُكر فيها أسماء ستة عشر نبيًا. [١] أما عندما أراد سبحانه أن يقرن صفة النبوة بتلك الطائفة، لتدل على لفظ الفعل ووقوعه منهم جمعهم جمع سلامة فجاءت " النبيون والنبيين "، وكأن المعنى في قوله: {وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ} أي الذين نبئوا. وفي قوله: {وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ} أي الذين نبئوا... وفى قوله: {وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ} أي الذين نبئوا...وفي قوله: {وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ} بالذين نبئوا ... وهكذا في بقية المواضع التي جاء فيها جمع السلامة) [٢]

(ومما تقدم يمكن القول بأن المراد بالأنبياء: هذه الطائفة التي أرسلها الحق لهداية الناس، وقد تلاءم هذا المعنى مع الآيات التي وردت فيها تلك الصيغة، وكأن المعنى في قوله: {وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ} يشير إلى قتل ذواتهم والتخلص من شخوصهم قبل قتل الصفة فيهم، وفى قوله: {إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ} يذكرهم بنعمته سبحانه عليهم إذ جعل فيهم أنبياء يشاهدونهم ويجالسونهم ويسألونهم، ولم يجعل الملك نبيًا والنبي ملكًا، فحينئذ تنعدم هذه المحادثة وتلك الرؤية، والمراد بالنبيين: الدلالة على حلول هذه الصفة . أي النبوة . في ذوات هذه الطائفة، فتتلبس الذات بالفعل والفعل بالذات ويتحدان اتحادًا واحدًا، فمن قتلهم فكأنه يقتل فيهم الصفة قبل الذات، ومن آمن بهم كأنه آمن بالصفة قبل الذات) [٣]

هذا ما استطاع يراع الباحث أن يرصده – إجمالًا– في جمل الختام التي اشتبه نظمها في أكثر من موضع، وبأكثر من لفظ ، أما بالنظر إلى

---

(١) وهم حسب الورود فى السورة: موسى ، وهارون ، و إبراهيم، ولوط ،وإسحاق ، ويعقوب، ونوح، وداود، وسليمان، وأيوب، وإسماعيل، وإدريس، وذو الكفل، وذو النون، وزكريا، ويحيى (عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم).

(٢)دلالة المتشابه في صيغ الجموع في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية للباحث/ ممدوح شعراوي محمود محمد ص ٣٠٢:٣٠٣

(٣) السابق ص ٣٠٣

هذه الجمل مرة أخرى، ومراجعة السياق الواردة فيه، يتبين أن كل واحدة من تلك الجمل جاءت موافقة لنظم الكلام السابق عليها داخل نص الحديث، ولم توضع هذه الجمل وضعًا اعتباطيًا أو عشوائيًا كيفما اتفق لها، وإنما وُضعت وضعًا دقيقًا يكشف عن مدى بلاغة المتكلم، ومدى إلمامه بأصول البيان وفصاحة اللسان.

ودليل ذلك ما تراه في مشتبه النظم بين قوله- صلى الله عليه وسلم-: (فَكُنْتُ أَنَا اللَّبِنَةَ) وقوله: (فَكُنْتُ أَنَا تِلْكَ اللَّبِنَةَ) حيث ترى أن قوله: (فَكُنْتُ أَنَا تِلْكَ اللَّبِنَةَ) جاء ترتيبا طبعيًا، واستجابة سريعة لجملة القول التعجبية في قوله:

(فَجَعَلَ النَّاسُ يُطِيفُونَ بِهِ، يَقُولُونَ: مَا رَأَيْنَا بُنْيَانًا أَحْسَنَ مِنْ هَذَا، إِلَّا هَذِهِ اللَّبِنَةَ) فقوله- صلى الله عليه وسلم- (فَكُنْتُ أَنَا تِلْكَ اللَّبِنَةَ) إعلام منه بأنه- صلى الله عليه وسلم - هو اللبنة التي تم بها البنيانُ الحسن الذي تقدم ذكره في قولهم: (مَا رَأَيْنَا بُنْيَانًا أَحْسَنَ مِنْ هَذَا) والتعبير باسم الإشارة (تلك) في هذه الجملة دون ما سواها من جمل الختام؛ لأنه لم يقع استثناء لغوي صريح باسم الإشارة لكلمة اللبنة المتممة لهذا البنيان الحسن، إلا في هذه الرواية فقط، انظر إلى قوله- صلى الله عليه وسلم - : (فَجَعَلَ النَّاسُ يُطِيفُونَ بِهِ، يَقُولُونَ: مَا رَأَيْنَا بُنْيَانًا أَحْسَنَ مِنْ هَذَا، إِلَّا هَذِهِ اللَّبِنَةَ) وعليه لما قالوا: (إلا هذه اللبنة) باسم الإشارة (هذه) كان التعبير باسم الإشارة (تلك) رجوعا باللفظة إلى أختها المتقدمة عليها، تأكيداً على أنه لم يتجاوزها - صلى الله عليه وسلم- ولم تتجاوزه، بل هو لها، وهي له -عليه الصلاة والسلام- لكن جاءت لفظة (هذه) في كلام الطائفين؛ لقرب عهدهم باللبنة، ونظرهم إلى مكانها، بينما جاءت كلمة (تلك) في كلامه -عليه أفضل الصلاة والسلام-؛ للبعد النسبي ما بين قولهم، ومجيئه صلى الله عليه وسلم ختاما للنبوات.

أما قوله: (فَكُنْتُ أَنَا اللَّبِنَةَ) فتجد السياق الوارد فيه هذه الجملة، قد انصرفت جملة التحضيض فيه إلى صاحب البناء، وكان التركيز عليه له حظ من الصياغة وقدر من التركيب، انظر إلى نظم الجمل السابقة على جملة الختام، وهي:

(فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ فَيَقُولُونَ: أَلَّا وَضَعْتَ هَاهُنَا لَبِنَةً فَيَتِمَّ بُنْيَانُكَ) لترى فيها بناء الفعل للمعلوم مع توجيه الخطاب إلى صاحب البنيان حيث قالوا: (وَضَعْتَ) ثم إشباع الكلام بخطاب آخر موجه إلى صاحب البناء بقولهم: (فيتم بنيانُكَ)، وكان من الممكن الاستغناء عن هذه الجملة فيقال: (أَلَّا وَضَعْتَ هَاهُنَا لَبِنَةً) فيقول: (فكنتُ أنا اللبنة) ويستقيم الكلام، ولا تحس فيه بفراغ في المعنى، ولكن لما كان كلام الطائفين حول البناء مهتما أكثر بصاحب البناء لحثه على وضع اللبنة، وعاد الضمير عليه مرتين (وضعتَ... بنيانُكَ) = جاءت جملة الختام في ثنايا ألفاظها بالضمير مرتين فقيل: (فكنتُ أنا) ليتساوق الضميران المتأخران مع الضميرين المتقدمين في الحديث عن اللبنة المفقودة، ثم أخبر عن نفسه – صلى الله عليه وسلم – بأنه اللبنة التي وقع التحضيض من أجلها بقولهم: (أَلَّا وَضَعْتَ هَاهُنَا لَبِنَةً) فقال: (فَكُنْتُ أَنَا اللَّبِنَةَ) ومن هنا لمّا لم يكن في السياق السابق على جملة الختام إشارة لفظية إلى تلك اللبنة، لم يكن في جملة الختام – كذلك– إشارة لفظية تعود على أختها المتقدمة عليها وتؤكد أمرها، وإن شئت فقل: لمّا غاب اسم الإشارة من جملة التحضيض غاب كذلك من جملة الختام.

أما مشتبه النظم بين جملتي الختام في قوله:

(فَأَنَا مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ، جِئْتُ فَخَتَمْتُ الْأَنْبِيَاءَ) وقوله:(فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ) فبمراجعة سياق الرواية التي ورد فيها كل من القولين، يتبين أن قوله: (فَأَنَا مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ) جاء فيه تكرار للفظين الواردين على لسان أولئك الذين دخلوا الدار وتعجبوا من حسنها، وتحسروا على موضع اللبنة

الفارغ فـي بُنيانهـا، حيث قيـل: (فَجَعَلَ النَّاسُ يَدْخُلُونَهَا وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْهَا، وَيَقُولُونَ: لَوْلَا مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ) فكان قولـه- صـلى الله عليـه وسلم- (فَأَنَا مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ) تلبية لتلك الرغبة التي أمَّلوها، ورفعاً لهذه الحسرة التي ملأت نفوسهم، وذلكم التندم الذي جثم على صدورهم؛ لغياب تلك اللبنة من مكانها، ثم التأكيد على أنه- صلى الله عليه وسلم- هو تلك اللبنة التي خُتم بها صرحُ هذا البناء الحَسن، ومن ثَمَّ كملتْ له صفات الحسن، وتمتْ له آيات الجمال، ثم أراد - صلى الله عليه وسلم- التأكيد مرة أخرى على (أن الله ختم به المرسلين، وأكمل به شرائع الدين) [1] كما ختمت تلك اللبنة بناء الدار فصار كاملًا، فقال: (جِئْتُ فَخَتَمْتُ الْأَنْبِيَاءَ) ولا يخفى ما في التعبير بالفعل الماضي (جئت فختمت) من الدلالة على تحقق المعنى المتعلق به دون شك أو ريب في حدوثه.

أما جملة الختام التي تقول:(فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ) فتنقسم الى قسمين هما:(فَأَنَا اللَّبِنَةُ) (وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ) وقوله:(فَأَنَا اللَّبِنَةُ) (مشبه ومشبه به، أي: فأنا بالنسبة إلى رسالات الأنبياء أُشبه اللبنة المكملة للبناء بالنسبة للدار) [2] وهذا القـول: (فَأَنَا اللَّبِنَةُ) إنما هو استجابة طبيعية للتحضيض الوارد في قولهم: (هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ) وكأنه لمّا وقع منهم التحضيض على وضع اللبنة، والتحفيز على ذلك بشيء من القوة؛ ليكتمل شأن البيت أو البنيان في نظر الطائفين، كان قوله: :(فَأَنَا اللَّبِنَةُ) بالفاء الدال على التعقيب، تلبية فورية لهذا التحضيض الداعي إلى استكمال موضع الحسن وجانب الجمال في هذا البناء المذكور، ولم تذكر كلمة (موضع) في جملة الختام هنا، كما ذكرت في الجملة السابقة؛ لغياب لفظها

---

(١) تحفة الأحوذي ١٢٩/٨

(٢) المنهل الحديث في شرح الحديث ٢٠٦/٣

من جملة التحضيض التي قالوها هنا: (هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ)، ولما بني الفعل للمجهول هنا فقيل: (هَلَّا وُضِعَتْ) فُهم منه أن الأهم هو التركيز على وضع اللبنة، وظهورها في أعين الناظرين، بغض النظر عمَّن يقوم بذلك، ومن ثَمَّ جاء قوله –عليه الصلاة والسلام– :(فَأَنَا اللَّبِنَةُ) متوافقًا مع جملة التحضيض التي قالوها، بحيث لم يكن في كلامه إشارة إلى مَنْ وضع اللبنة، ومن قام بسد ثلمتها، بل إخبار مباشر منه– صلى الله عليه وسلم– بأنه اللبنة المرجوة، ولا يوجد لبنة هي أكمل ولا أفضل ولا أحسن منه – صلى الله عليه وسلم– في صرح الأنبياء عليهم السلام.

وأما قوله: (وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ) ففيها إعادة لضمير المتكلم (أنا) وكان من الممكن الاستغناء عنه، والاكتفاء بالضمير المتقدم عليه القريب العهد به، وذلك في قوله:(فَأَنَا اللَّبِنَةُ) ومن ثَمَّ كان يمكن أن يقول: :(فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَخَاتِمُ النَّبِيِّينَ) ويُفهم من ذلك أنه – صلى الله عليه وسلم– قد جمع بين الأمرين، ولكنه –عليه الصلاة والسلام– أعاد ضمير الفصل هنا مرة أخرى فقال: (وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ)؛ ليؤكد على أن كل جملة من الجملتين مستقلة ومنفصلة عن أختها، ومِنْ ثَمَّ الإيذان باستقلال أفضليته – صلى الله عليه وسلم– في كلا الأمرين، وتمام وصفه في الجهتين: في كون شرعه قد ختم الشرائع، وكونه قد ختم الأنبياء.

ثم لما دل الفعل الماضي في قوله هناك:(جِئْتُ فَخَتَمْتُ الْأَنْبِيَاءَ) على تحقق حدوث الفعل وتأكيد أمره، في كونه (هو) فقط ﷺ مَنْ ختم الأنبياء والمرسلين، ومِنْ ثَمَّ فلا نبي بعده –عليه أفضل الصلاة والسلام– = أراد ﷺ أن يُضيف إلى هذا التأكيد صفة الدوام والثبوت، ومن هنا صاغ من الفعل (ختم) اسم الفاعل الدال على ذلك فقال: (وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ)؛ ليجمع لنفسه –عليه أفضل الصلاة والسلام– كمال الأمرين معًا:

التأكيد على أنه من ختم الأنبياء، والتأكيد على دوام تلك الصفة، له وعدم خلعها عنه، إلى أن يرث الله الأرض منْ عليها، ومن هنا يُعلم بكل تأكيد ويقين أنه ﷺ قد ختم الأنبياء وجاء آخرهم، كما ختمت هذه اللبنة البناء وجاءت آخر شيء فيه..... والله أعلم

الخاتمــة

الحمد لله الذي أعان ووفق، ويسَّر وسهَّل، ومنح ما لا يكون إلا منه جلَّ في علاه، والصلاة والسلام على خير خلق الله، وعلى آله وصحبه ومَنْ والاه... وبعد....

فها قد وصلت رحلة هذا البحث إلى نهايتها، وحاولت كشف النقاب عن المراد منها قدر استطاعتها، ومِنْ ثَمَّ يجدر بالباحث أن يُلقي الضوء على أهم النتائج التي تم رصدها من خلال هذه الدراسة، وهي:

أولًا : أظهر البحث أن خلو جملة التشبيه (مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي) من التوكيد في أغلب روايات الحديث إنما كان؛ لأن الأصل في كلامه ﷺ أن يأتي بدون توكيد أو قسم، ؛لكونه وحيًا من الله تعالى ،ومن ثَمَّ فلا يحتاج إلى ما يعضد صدقه أو يؤكد خبره، وتأكيد هذه الجملة في بعض روايات الحديث، ليس راجعًا إلى الشك في كلامه ﷺ وإنما إلى عنايته بمحتوى هذه الجملة وحرصه على تثبيت معناها في قلوب السامعين ؛ لكونها متعلقة بأفضليته ﷺ على سائر الأنبياء والمرسلين.

ثانيـــاً: ردَّ البحث – على استحياء من صاحبه – مقولة أرباب المعاجم القائلين بأن الفعل (بنى... وابتنى) بمعنى واحد، وأثبت أن لكل منهما داخل سياقه معنى خاصًا به، وهذه الخصوصية في الدلالة، اعتمدت على مقولة :(زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى)؛ليثبت البحث أن الفعل (بنى) داخل سياقه دلَّ على حدث أقل وجهد محدود؛ لتعلقه ببناء شيء واحد (بيت ... بنيان ... دار) حيث يقول: (كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا) (كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيَانًا) (كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا)، بينما دلالة الفعل (ابتنى) داخل سياق الحديث دلَّت

على حدث أكبر ،وجهد أقوى ؛ لتعلقه ببناء مجموعة من البيوت ، وهذا تراه في قوله:(كَمَثَلِ رَجُلٍ ابْتَنَى بُيُوتًا) وهذه – بلا شك– تحتاج إلى جهد كبير وزيادة في العمل، مع حدث أطول عما يتطلبه بناء بيت واحد، أو دار واحدة.

ثالثاً: لما كانت دعوة الأنبياء واحدة من آدم إلى سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – كان التعبير عنها بالبناء الواحد وهو لفظ البيت أو البنيان أو الدار فقيل :(كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا) (كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيَانًا) (كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا) ولما كانت شريعة كل نبي تختلف عن شريعة الآخر، وتنوعت تلك الشرائع وتعددت... عبر عن هذا التعدد والتنوع بالجمع فقال: (كمثل رجل ابتنى بيوتا) ليتوافق المفرد مع المفرد، والجمع مع الجمع.

رابعاً: اطمأن البحث إلى أن تنوع التعبير عن البناء الوارد في الحديث بـ(البيت ... والبنيان ... والدار ...) إنما كان ؛ ليدل في نهاية الروايات على المراحل التي مرت بها الشرائع السماوية حتى اكتمل أمرها، وتم شأنها على يد رسول الله ﷺ .

خامساً: بيَّن البحث الفرق الدقيق بين تعدية فعل التعجب بالجار والمجرور(له) في قوله: (فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له) وبين القول المتوقع: (ويعجبون منه) ويتمثل هذا الفرق في أن تعدية فعل التعجب بـ (له) في قوله: (ويعجبون له) يأتي عندما يكون الشيء كله أو الشخص كله هو موضع الإعجاب ومحل التعجب، وأيد ذلك بحديث سيدنا جبريل عندما سأل عن الإسلام والإيمان والإحسان، حيث جاء فيه(فعجبنا له يسأله ويصدقه) لكون التعجب فيه كان منصبًا على أمر الرجل كله، من حيث تصديقه دون تردد،

وسواد شعره، وبياض ثيابه، وجرأته في سؤال النبي ﷺ بوضع يديه على فخذيه، أما قوله: (ويعجبون منه) فيدل على أن التعجب منصب على شيء محدد في الشيء المتحدث عنه، أو الشخص الموجه إليه الكلام، ودليل ذلك قول الملائكة للسيدة سارة زوج سيدنا إبراهيم – عليه السلام–: (أتعجبين من أمر الله) وأمر الله هنا هو تكوين الجنين في بطنها في سن الضعف والعجز، وهذا أمر خاص وليس عامًا كما في (ويعجبون له).

سادساً: خلص البحث إلى تفرقة معنوية بين الفعل (يطوفون) والفعل (يطيفون) مؤداها: أن الفعل (يطوفون) يدل على الدوران الطبيعي حول البنيان مع النظرة العادية إليه، أما الفعل (يطيفون) فيدل على: الدوران الدال على التأمل وتدقيق النظر في جوانب هذا البنيان، ومما يقوي ذلك وجود جملة تابعة للفعل (يطيفون) تبين كيف كان وبأي صورة وقع، وتلك الجملة هي قولهم:(ما رأينا بنيانا أحسن من هذا) ومثل ذلك لا يتأتى من دوران عادي بنظرة عادية، بل يتأتى هذا الحكم من دوران مصحوب بالتأمل، مع تدقيق النظر في بديع محاسن البنيان وجمال وصفه، وهذا ما لا تجده في قوله: (يطوفون به).

سابعاً: اهتدى البحث إلى اختلافٍ موجود بين أدوات التحضيض الثلاثة (هلَّا... لولا... ألَّا) واستأنس بالفروق التي بينها على أن يكون ترتيبها في روايات الحديث على حسب المعاني التي تؤديها كل منها، لتكون (لولا)– على سبيل الاستئناس والتقريب – الدالة على التندم والتحسر على عدم وقوع الفعل هي أولى الروايات في هذا الحديث، وتكون (هلا) الدالة على التحفيز والتشجيع على وقوع

الفعل بشيء من القوة، هي ثاني روايات هذا الحديث، ولتكون (ألَّا) الدالة على سرعة وقوع الفعل من المتحدث إليه هي ثالث هذه الروايات، وكأن الداخلين إلى هذا البناء المذكور بمجرد أن رأوا هذا الفراغ في موضع تلك اللبنة، أصيبوا بالحسرة والندم على عدم وجودها، ومن هنا قالوا : (لَوْلاَ مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ) ثم بدأوا في التحفيز والتشجيع على الإتيان بها، فقالوا: (هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ؟) ثم طالبوا بسرعة وقوع هذا الفعل من المسؤول عن هذا البناء، فقالوا: (أَلَّا وَضَعْتَ هَاهُنَا لَبِنَةً فَيَتِمَّ بُنْيَانُكَ) حتى يكتمل له صفات الكمال ،ويتم له مواضع الحسن.

ثامناً: ردَّ البحث – بكل إجلال واحترام – قول صاحب البحر المحيط بأن الجمعين (الأنبياء والنبيين) إذا كانا معرفتين تساويا في الدلالة، بأن هذا إنما يصلح إذا كان في كلام الناس أما في كلام الله فلابد أن يكون لكل كلمة دلالتها الخاصة بها، بحيث لا يقوم غيرها مكانها، ثم ردَّ البحث– بموفور الأدب – قول أ.د/ الخضري– رحمه الله تعالى– بأن (الأنبياء) تستعمل للكثرة، وأن (النبيين) تستعمل للقلة، بآيات من الذكر الحكيم جاء فيها استعمال (الأنبياء) للقلة، وأخرى جاء فيها استعمال (النبيين) للكثرة، وهذه الآيات قاطعة الدلالة بحيث لا تقبل النقاش ولا تدخل تحت التأويل، وبيَّن في النهاية أن الجمعين صفتان خرجتا من باب القلة والكثرة، إلى شيء آخر مؤداه: أن الجمع (أنبياء) يشير إلى أسماء هذه الطائفة من الناس وذواتها، بدليل أن الحق خصهم بسورة في القرآن اسمها سورة الأنبياء؛ لأنه ذكر فيها ستة عشر نبيًا بأسمائهم، أما عندما أراد أن يقرن صفة النبوة بتلك الطائفة جمعهم جمع سلامة على (النبيين)، وأيد البحث رأيه هذا بقول ابن يعيش: إن الصفة إذا جُمعت جمع

تكسير غلب عليها الإسمية وقوي جانب التكسير فيها، وإذا جُمعت جمع سلامة قوي فيها الوصفية، فأدت معنى الفعل وجرت مجراه... والله أعلم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم

المصادر والمراجع

١- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري – المؤلف: أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر – ط: السابعة، ١٣٢٣ هـ.

٢- أسباب تعدد الروايات في متون الحديث الشريف أ. د/ شرف محمود القضاة، أ.د/أمين محمد القضاة، بحث منشور في مجلة كلية الشريعة – الجامعة الأردنية – عمان – مجلد ٢٠- عدد الملحق سنة٩٣م – دار الفرقان – عمان ، الأردن–ط الأولى ١٩٩٩م.

٣- الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ دراسة تحليلية للإفراد والجمع في القرآن د/ محمد الأمين الخضري – مطبعة الحسين الإسلامية – ط : الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.

٤- الإفصاح عن معاني الصحاح لابن هُبَيْرَة الشيباني – تح فؤاد عبد المنعم أحمد – الناشر: دار الوطن – سنة النشر: ١٤١٧هـ .

٥- البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي – تح/ الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض – دار الكتب العلمية – لبنان– بيروت – الطبعة : الأولى ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.

٦- البلاغة النبوية في ضوء تعدد الروايات الحديثية دراسة منهجية د/ يوسف بن عبد الله العليوي، بحث منشور في مجلة العلوم العربية– العدد الرابع والعشرون رجب ١٤٣٣هـ كلية اللغة العربية – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

٧- البناء البياني لسورة المؤمنون في ضوء كتاب الموافقات للشاطبي (ت ٧٩٠هـ) د/ ممدوح شعراوي محمود محمد – بحث منشور في مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط
(العدد الثامن والثلاثون الجزء الثالث ٢٠١٩م).

٨- التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور - الدار التونسية للنشر- تونس ١٩٨٤م.
٩- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للمباركفوري ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.
١٠- تطريز الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي لرسالة(اختلاف ألفاظ الحديث النبوي) للعلامة محمد الأمير الصنعاني
١١- تعدد الروايات في الحديث الشريف وأثره على المعاني د/ أيمن جاسم محمد الدوري – مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية – جامعة بانتة – المجلد ٢٢- العدد ٢- ٢٠٢١م.
١٢- التفسير الكبير للرازي- دار إحياء التراث العربي – بيروت- ط: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.
١٣- حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني تح/عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت.
١٤- الخصائص البلاغية للبيان النبوي د/ محمد أبو العلا الحمزاوي- مكتبة الرشد ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م .
١٥- خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني - دكتور/ محمد محمد أبو موسى – الناشر: مكتبة وهبة – الطبعة: السابعة .
١٦- دلالة المتشابه في صيغ الجموع في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية للباحث/ ممدوح شعراوي محمود محمد، رسالة ماجستير- قسم البلاغة – كلية اللغة العربية بأسيوط – ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م .
١٧- روح البيان لإسماعيل حقي البروسوي – دار الفكر – بيروت.
١٨- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للآلوسي – تح: علي عبد الباري عطية- دار الكتب العلمية – بيروت – ط: الأولى، ١٤١٥ هـ .

١٩- سنن أبي داود، تح/ محمد محيي الدين عبد الحميد- المكتبة العصرية – صيدا بيروت.
٢٠- شرح أحاديث من صحيح البخاري دكتور/ محمد محمد أبو موسى – مكتبة وهبة – ط الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠١ م.
٢١- شرح أحاديث من صحيح مسلم – دكتور/محمد محمد أبو موسى – مكتبة وهبة – ط الأولى ١٤٣٦هـ ٢٠١٥م.
٢٢- شرح المفصل لابن يعيش – قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب- دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان – ط: الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١ م.
٢٣- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ،أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري ،تح: أحمد عبد الغفور عطار ،الناشر: دار العلم للملايين – بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.
٢٤- صحيح البخاري تح/ محمد زهير بن ناصر –دار طوق النجاة – ط الأولى ١٤٢٢هـ.
٢٥- صحيح مسلم تح/محمد فؤاد عبد الباقي – دار إحياء التراث العربي – بيروت .
٢٦- غريب الحديث للخطابي تح/عبد الكريم إبراهيم الغرباوي – خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، دار الفكر – دمشق – عام النشر: ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م
٢٧- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني- تح /محمد فؤاد عبد الباقي – دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ .
٢٨- الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري – تح: محمد إبراهيم سليم- دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.
٢٩- القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، الدكتور سعدي أبو حبيب – دار الفكر. دمشق – سورية- ط: الثانية ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م.

٣٠- كتاب الكليات لأبى البقاء الكفومي – تح/ عدنان درويش – محمد المصري – مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.
٣١- الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لمحمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي العَلَوي الهَرَري الشافعي ، الناشر: دار المنهاج – دار طوق النجاة – الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م.
٣٢- لسان العرب لابن منظور – ط الأولى – دار صادر– بيروت.
٣٣- المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ، تح/ عبد الحميد هنداوي– دار الكتب العلمية – بيروت ط: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م.
٣٤- مختار الصحاح : محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي – تح: محمود خاطر، الناشر : مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، طبعة ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.
٣٥- المخصص لابن سيده – تح: خليل إبراهم جفال – دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط: الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م .
٣٦- مدرسة الحديث في مصر– محمد رشاد خليفة – الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية بالقاهرة.
٣٧- مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للمباركفوري – الناشر : إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء – الجامعة السلفية – بنارس الهند – ط: الثالثة – ١٤٠٤ هـ ، ١٩٨٤ م.
٣٨- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تح/ أحمد محمد شاكر – دار الحديث – القاهرة – ط الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.
٣٩- مسند الإمام أحمد تح/ محمد فؤاد عبد الباقي – دار إحياء التراث – بيروت .

٤٠- المعجم الوسيط – صادر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة – (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) الناشر: دار الدعوة.

٤١- معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس – تح : عبد السلام محمد هارون- دار الفكر- طبعة : ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٤٢- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري، تح / مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر . بيروت . ط السادسة ١٩٨٥م.

٤٣- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني – تح: صفوان عدنان الداودي – دار القلم، الدار الشامية – دمشق – بيروت – ط الأولى – ١٤١٢ هـ.

٤٤- منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري لحمزة محمد قاسم- راجعه: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط – عني بتصحيحه ونشره: بشير محمد عيون- الناشر: مكتبة دار البيان، دمشق – الجمهورية العربية السورية، مكتبة المؤيد، الطائف – المملكة العربية السعودية- عام النشر: ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

٤٥- المنهل الحديث في شرح الحديث / دكتور موسى شاهين لاشين، الناشر: دار المدار الإسلامي ط: الأولى، ٢٠٠٢ م.